حُسن التدبر

الدكتور عقيل حسين عقيل

طرابلس، ليبيا
2022

حُسنُ الـتدبُّـر

أ د. عقيل حسين عقيل

2022م

المحتويات

المقدِّمةُ 3

التدبُّر 4

التذكير 29

التفكّر 31

التدبُّر دراية عقليَّة 47

التدبُّر استقراء فكرة 70

التدبُّرُ في أثناءِ حيرة الفِكْر 91

التدبُّرُ قوَّة تستوجب عدّة 97

حُسن التدبُّر يمكِّن من إنجاز الأهداف 113

حُسنُ التدبُّر يُمكّن من تحدِّي الصِّعاب 123

حُسن التدبُّر للمستقبل نُقلة 130

حُسن التدبُّر يصنع الأمل 143

صدر للمؤلّف 153

المؤلّفات 155

المؤلّف في سطور 175

المقدِّمةُ

يتناول هذا المؤلّف موضوع حُسن التدبُّر بغاية إظهار مفهومه الذي يربط بين الزّمنين في الزّمن الحاضر، فحسن التدبُّر مبدأ قيمي يظهر أهميَّة التدبُر بمفهومه العام والخاص؛ وذلك من خلال الفكرة والفِكْر ومدى دراية العقل بالمتغيرات المتداخلة بين التذكّر والتدبُّر والتفكُّر.

ومع أنَّ مفهوم الحُسن يحتوي في مضمونه ما يشير إلى الجمال أو يدلُ عليه، فإنَّ جمال التدبّر يكمن في الحكمة التي تجعل الإنسان متدبِّرًا؛ ومن هنا فحسن التدبُّر يَظهر في جمال الفِكَر التي تُولِّد من الحُجَّة حُجَّة، ومن البرهانِ برهانٌ.

كما أنَّ مؤلَّفنا عمل على فكّ اللبس الذي شاب بعض المفاهيم، وكأنَّه لا فرق فكري بين مفهوم التذكّر، والتدبُّر، والتفكر، ولهذا أوجدنا مساحة بحثيَّة لفرز تلك الملابسات وفكَّها؛ ومن ثمَّ، تم تبيان الفوارق المفاهيميَّة تحليلًا وتفصيلًا وتعليلًا وتفسيرًا.

ولأنَّه لا شيء موضوعي بلا تدبُّر، ولا إمكانيَّة للمعرفة الحقّة بدون تدبُّر، ولا وضوح رؤيّة بلا تدبُّر، ولا مستقبل يصنع ولا نُقلة تحدث إلَّا والتدبُّر من ورائها؛ لذا كان موضوع حُسن التدبُّر بين أيدي القرَّاء والبحاث والنقَّاد مادَّة للقراءة مع وافر الفرص للتصحيح أو التصويب أو النّقد أو لمزيد من الإضافة والتجديد.

ومن هنا فإنَّ حُسن التدبُّر حُسن دراية وحكمة، وحُسن معرفة، وحُسن تفكير مع وافر التأنّي الموضوعي؛ حيث لا تسرّع ولا استعجال وكذلك لا تباطئ.

وعليه فإنَّ حُسن التدبُّر هو حُسن إدارة؛ سواء أكانت الإدارة أسريَّة، أم مدرسيَّة، أم إدارة شركة، أم إدارة دولة، أم إدارة رأي، أو إدارة عقول، ولكلٍّ خصوصيَّة بها يدارُ.

أ د. عقيل حسين عقيل

2022م

طرابلس ليبيا.

التدبُّر

يعد حُسن التدبُّر التفاتة عقليّة بها يتجه الإنسان لنفسه وإلى ما ينبغي الاقدام عليه وفقًا للحاجة والضّرورة، سواء أكانت الالتفاتة لصوغ خطة عمل، أم لرسم سياسات، أم لحل مشكلة وفك علل تأزُّمها.

وحُسن التدبُّر عن وعي ودراية يجنّب صاحبه الوقوع في الفخّ، ويمكِّنه من إيجاد الحلول والمعالجات، وإيجاد كيفيَّة الدّخول إلى والخروج مِن؛ فالتدبُّر يتطلَّب الاجتهاد والمثابرة وفقًا للأهداف المراد إنجازها بموضوعيَّة.

ويعد حُسن التدبُّر اجتهاد عقلي وفكري يمكّن الإنسان من الالتفات إلى نفسه ومعرفة ما يجب أن يقوم به أو يقدم عليه في الزّمن الحاضر؛ ومن ثمَّ فالتدبُّر يتطلّب قبول الاستغراق في الحيرة وقبول تحديها تفكيرًا؛ حتى الخروج منها وعيًا ودراية، وعن بيّنة تمكِّن الإنسان من:

. الخروج من الحيرة دراية.

. معرفة الحلّ.

. تجاوز المعيقات.

. إحداث النُّقلة.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولات.

والتدبُّر الحسن لا يكون إلَّا عن دراية حسنة تستوجب تحديد الأهداف ووضوحها، ورسم السّياسات والخطط والاستراتيجيَّات التي تتطلّب عُدَّةً واستعدادًا مع وافر التهيؤ والتأهُّب وفقًا للإمكانات المتاحة والممكِنة، التي تُمكِّن من العمل وبلوغ الحلّ.

ولأنَّ حُسن التدبُّر وعيًا لا يمكن أن يكون عابرًا، إذن فلا يكون إلَّا عن تمعُّن ودراية تامّة بما يجب وبما لا يجب؛ قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[1]. ومع أنَّ مفهوم التدبُّر هنا جاء بمعنى أن القرآن كلّه يُعقل ويدرك؛ كونه آيات وشواهد بيّنة تدركها الحواس سمعًا وبصرًا ولمسًا وعقلًا وبصيرة، فإنَّ البعض تعمّد عدم التدبُّر في آياته المعجزة؛ أي: مع أنَّ آيات القرآن شواهد حقٌ فأنكرها الذين كفروا؛ قال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ}[2]؛ جاء في هذه الآية الكريمة مفهومًا يؤدّي إلى الاستغراب الذي لا يكون إلَّا في دائرة الممكن البشري، أمَّا بالنسبة إلى الله تعالى فلا استغراب؛ كونه يعلم الغيب والشهادة: {عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[3].

أمَّا مفهوم قوله (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) جاء مفهومًا خاصًّا بأهل الكتاب من يهود ونصارى، كونهم يؤمنون بالله؛ ولهذا قال (لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) ولمْ يقل (لِمَ تكفرون بالله)؛ لأنَّ أهل

---

[1] محمَّد 24.

[2] آل عمران 70.

[3] الجمعة 8.

الكتاب يعلمون بأنَّه لا مستحيل ولا معجز إلَّا من عند الله؛ أي مع أنَّهم يشهدون بذلك ويؤمنون بالله تعالى فإنَّهم كفروا بآيات الله التي يعلمون ويعرفون بأنَّها المعجزة للقول والفعل والعمل والقوّة وإن عظمت.

ومع أنَّهم أهل كتاب ويؤمنون بالله تعالى؛ فإنَّهم كفروا بالحق (كفروا بآيات الله)؛ ولهذا فإنَّ الله غني عن الكل، والكل في حاجة إليه، ومع ذلك فإنَّ أهل الكتاب أهل خصوص كونهم يعلموا الحقّ من عند الله: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[4]، وقال تعالى: {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}[5]. تشترك هاتين الآتين في المفهوم ولكل الدِّيانات الإبراهيميَّة كون أهلها يعلمون الحق المنزَّل؛ ولذا فمن ينكر الحقّ المنزَّل يعدُّ من الكافرين حتى ولو كان من أهل الديانات الإبراهيميَّة.

وعليه: ينبغي على المؤمنين أن يتدبّروا القرآن حتى يتدبّروا آياته، آية من بعد آية؛ بغاية أخذ العبر والمواعظ من المعجزات والمستحيلات التي ليس لها مفاتيح معرفيَّة إلَّا في القرآن الكريم؛ قال تعالى: {قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى

[4] آل عمران 97.

[5] العنكبوت 6.

اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}[6]. لقد كفر مِنْ أهل الكتاب مَن كفر؛ كونهم لم يتدبّروا القرآن آية من بعد آية، وهم كفروا لأنَّهم يعلمون الحقيقة ولكنَّهم أنكروها، أي: يعلمون أنَّ الله ليس المسيح ابن مريم؛ فهم فمع أنَّهم يؤمنون بالنبي عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام فإنَّهم لم يأخذوا بما أخبرهم به وأوصاهم وبشّرهم؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}[7].

ولأنَّ الخطاب موجّهٌ من النبي عيسى إلى بني إسرائيل؛ فبنوا إسرائيل هم الذين قالوا: إنَّ الله هو المسيح ابن مريم؛ وذلك بغاية الانحراف بالمسيحيّة عن صوابها المنزَّل. أي: لأنَّ المسيحيَّة جاءت منزَّلة وناسخة للديانة اليهوديَّة؛ فإنَّ الذين لم يؤمن من بني إسرائيل بالديانة المسيحيّة هم الذين قالوا: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ).

ومع أنَّ آيات القرآن شواهد تلفت العقل وتثيره، وتستفزّه فكرًا وعلمًا وبحثًا، فإنَّ بعض العقول عمدت أنْ لا تتدبّره؛ ومن هنا فالذين تدبّروه التفتوا إلى أنفسهم اعترافًا بالحقِّ؛ وذلك بالتفاتهم إلى آيات الخالق العظيمة التي جعلتهم على الايمان وهم في أحسن تقويم.

---

[6] المائدة 72 – 75.

[7] الصّف 6.

وعليه فإنَّ التدبُّر وعيًا يؤدّي إلى:

. إنجاز الأهداف.

. رسم السياسات.

. رسم الخطط والاستراتيجيَّات.

. معرفة الحلّ.

. تحقيق الأغراض.

. بلوغ الغايات.

. نيل المأمولات.

. تعظيم القيم الخيّرة.

. المزيد من الدّراية والمعرفة.

. المزيد من الخبرة والتجربة.

والتدبُّر مع أنَّه قيمة فإنَّه لا يكون إلَّا عن حيويَّة تدير الأمر الذي يستوجب حُسن التدبُّر، ومع أنَّ التدبُّر لا يكون إلَّا في ساعته، فإنَّه لا يكون إلَّا من أجل المستقبل قريبًا كان أم بعيدًا؛ ولهذا فالحاضر تدبّرًا هو ما يدركه العقل ويتبناه تخطيطًا وعملًا حتى يعيشه وجودًا، وكما يأمله في دائرة الممكن، ومن هنا فالتدبّر حُسن إدارة وجودة عمل، به ترسم السياسات والخطط وتُتّخذ التدابير الممكّنة من إيجاد معالجات لأيّ طارئ، فالتدبّر

دراية عقلية يرتقي بحاضر أصحابه إلى ما يمكنّهم من الأخذ بما ينبغي في سبيل إحداث النُّقلة سياسة واقتصادًا وعلمًا ومعرفةً، نُقلة تطوي صفحات الحاجات المتطوّرة بمشبعات مُرضية وفقًا للفرضيَّات التي تأسّست عليها؛ ممّا يجعل المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة، أو حلّها من جذورها؛ فالتدبُّر ارتقاء يمكّن من مواجهة المفاجآت التي يمكن أن تحصل في الزّمن الحاضر دون أن تترك أثرًا سلبيًّا.

ويتّسع التدبّر ارتقاءً ليكون حضوره ملبّيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة، إلاّ أنّه لا يكون حلّا نهائيًّا؛ فكلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولًا دائمةً، لكنّها في وقتها إن كانت ارتقاء؛ فهي لا شكّ تمثّل الحلّ الأمثل في زمنه في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان رُقيًّا في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، التي تتّسع لكلّ المفاجآت، التي يمكن أن تحدث.

ففي الزّمن الآني يحدث الكثير من الأحداث التي يكون وقوعها ممثّلًا لكارثة أو لأمر غير متوقّع؛ فتكون المعالجة منطوية على إيجاد حلول سريعة يمكن من خلالها تفادي المشكلّة.

فالتدبُّر حلّ للمفاجآت التي يمكن أن تحصل، ولهذا لا يكون الحلّ نهائيًّا، بل وقتيًّا من أجل تجاوز المرحلة المهمّة، ومن الشّواهد التي رأينا فيها التدبّر مثالًا حاصلًا بالكيفيَّة الآنيَّة ما حصل في تشيلي لعمال المناجم

بتاريخ 14 أكتوبر 2010، فبعد أن أصبحوا في غياهب الظُّلمات في مسافة تزيد عن ستمائة متر تحت الأرض، فما كان من السُّلطات التشيليّة إلّا بحثت عن حلّ سريع يكون به النّجاة لهؤلاء العمّال، وفي كلّ تفاصيل الإنقاذ كان الخوف حاضرًا بدرجة كبيرة، ممّا استوجب ضرورة لحسن التدبّر، فأدوات النجاة وطرقها كان يرافقها الخوف ممّا أفضى ذلك بأن يكون النّجاح حليف عمليَّة الإنقاذ، وهناك استعملت في عمليَّة الإنقاذ كبسولة أطلق عليها اسم (فينكس) نسبة إلى طائر (الفينيق) الأسطوري، وبلغ قطرها 53 سم. وخضعت هذه الكبسولة للتجريب حيث عمد عمال الإنقاذ إلى إنزالها مرّتين في باطن الأرض قبل بدء عمليَّات إنقاذ العمال. فما كان من الخوف إلّا أن يكون حاضرًا في جميع تفاصيل مهمة الإنقاذ فالبداية تدبّرًا كانت باحثة عن كلّ الأساليب التي تجعل من العمال يبقون على قيد الحياة سالمين، كالغذاء والاتصال وغير ذلك، أمّا المهمّة الثَّانية؛ فكانت في تفاصيل وسائل الإنقاذ بداية من الحفر عن أقرب مكان يصل إليهم إلى الكبسولة التي تقلّهم إلى سطح الأرض؛ فالتدبّر في حاضره كان في كلّ شيء يساهم في الإنقاذ، والكبسولة حيطةً وحذرًا لم تكن واحدة، بل كانت أكثر من واحدة، ووسائل الحماية المتوفِّرة فيها تدبّرا كانت خاضعة لمقاييس الخوف من أجل أن يصل العامل إلى سطح الأرض بكلّ سلامة، ولم يكن الخوف والتبّر قابعا تحت الأرض فقط، بل كان حاضرًا عند سطح الأرض في توفير كلّ المستلزمات الصحيّة التي تحافظ على صحة العمال بما فيها النظّارة الشمسية الخاصّة التي كانت البداية متمثّلة فيها.

وكذلك ما حدث مع الطّفل المغربي ريّان ذو السنوات الخمس، الذي مأساته شدّة انتباه العالم وأنظاره يوم 1-2-2022م بمنطقة (باب برد) بالقرب من مدينة شفشاون، ريّان الذي سقط في البئر وارتكن فيه ضيقًا على عمق 32 مترًا (منتصف عمق البئر تقريبًا)، ولقد بقي في البئر محصورًا في ضيقه حوالي 90 ساعة، وهو يعاني من شدّة الألم والبرد والجوع والخوف والرّعب من شدّة الظلمة؛ ولذلك يعد هذه الزَّمن طويلًا جدًّا على حياة الطفل وبخاصّة إنَّه لم يتمكَّن من الاكل ولا من الشُّرب، ولا من التدفئة، ومع أنَّه الوقت الطويل، فإنَّه بأسباب الحيطة والحذر تدبُّرًا كان ضروريًّا وفقًا لبساطة الآلات المستخدمة إذا ما قورنت بغيرها من الآليَّات المتطوّرة تقنيةً، ويا ليت المتدبّرين أحسنوا تدبيرهم واستخدموا غيرها من الآليَّات الأكثر تطوّرًا وتقدّمًا.

إنَّه البئرُ ضيّق القطر (لا يزيد قطره عن 35سم) مما جعل النزول إليه متعذرًا، ومع ذلك كان التدبّر يلاحقه حفرًا بغاية إخراجه حيًّا قدر الإمكان؛ فكانت الاستشارات بين الخبراء والدّول مع المملكة المغربيَّة بغاية إنقاذه؛ وذلك لتفادي تلك الانهيارات التي قد تحدث بأي علّة من العلل وتكون خطرًا على حياته وعلى حياة المنقذين حفرًا، ومع ذلك ثم الوصول إليه حفرًا موازيًا بسلام؛ حيث لا انهيارات حدثت، غير أنَّ الاعمار بيد الله فلم يكن الوصول إليه في الزَّمن المنقذ للحياة؛ فمات ريّان، ولكن بحسن التدبّر لم يقبر في البئر، بل قبر دفينًا كغيره من الأموات.

ولهذا يتّسع التدبّر ليكون حضوره ملبّيًا أو محتويًا للأحداث الحاصلة إلاّ أنّه لا يكون حلًّا نهائيًّا، أو أن يتكرّر الحدث بتكرر الحلّ نفسه؛ ولذا أنَّ كلّ الحلول الآنية قد لا تصلح لأن تكون حلولًا دائميَّة، لكنّها في وقتها قد تمثّل الحلّ الأمثل في دائرة الممكن الذي تكون نتائجه باهرة وغير متوقّعة، كما أنَّ التدبُّر وإن كان آنيا إلّا أنَّه يفتح مدارك الإنسان في البحث عن حلول تكمن فيها النّهاية المرجوة، وهو بهذا يسير نحو إيجاد حلول منفتحة ومكتسية بثوابت افتراضية ممّا يكون مستقبلها حاصلًا ومنتميًا لهذه الافتراضات.

ومن هنا فإنَّ الشّخصيَّة المتدبِّرة تعتبر الحلّ الآني تدبّرًا يسهم في خلق فروض متعدِّدة منتمية إلى مخاوف مفترضة، وهنا يظهر الخوف كمؤسّس حقيقي لفرضيات تسهم بشكلٍ كبير في إيجاد مساحات جديدة فيها من التدبّر والمتناوبات المختلفة التي تشير بشكلٍ أو بآخر إلى وجود افتراقات في المنجز الافتراضي، وهذا يبعث في الرُّؤى العامّة المتحقّقة روح الامتداد المستفيض الذي يخلق تبعات واضحة تجد صداها عند كلّ فرضية موجودة سواء أكانت متحقِّقة أم كانت في طور الانتماء العام لفرضيَّات أخذ الحيطة والحذر من أجل سلامة المتدبّر من أجله.

ويكون التدبّر المتعاقب في هذا المنجز الافتراضي أداة فاعلة في بناء استمراريّة حقيقية تكون رافدة للعمليَّة المطلوبة، فالانكفاء غير حاصل كونه يخلق انزواءات غير فاعلة تسهم بشكلٍ كبيرٍ في انضواء أنساق عديدة يكون

لها دور مهم في الإيضاح والتفاعل والخلق والمبادرة، فتستحيل كلّ ملاحظاتها إلى برامج تتابعية ترشد وترسم ما سيكون وفق عمليَّة نجد فيها تشاكل واضح ينضح بكلّ السياقات التي يكون حضورها فاعلًا ومؤثّرًا.

وعليه: تكون المساحة المطلوبة لهذه الفرضيَّات منتمية إلى الاتساع الذي يجب أن يكون، وهنا تظهر المدارات بأنواعها؛ كي تشغل حيزًا واضحًا في هذه المساحة التي تتّسع لكلّ الأطراف، أمّا حدود هذه المساحة فهي مفتوحة؛ كونها تريد أن تكون نهايتها مفتوحة كي تتّسع لكلّ المفاجآت التي يمكن أن تحدث، لأنَّ الواقع يفيض بالمفاجآت؛ فتكون معالجتها تدبّرًا غير منضوية تحت أيّ إدراج، وبغضّ النّظر عن الوسائل التي تُستخدم، ممّا يسمح لها باستقطاب الحلول التي تنقلها من واقعها التي هي فيه إلى واقعٍ جديدٍ يكمن فيه الانتشال المطلوب، وعليه:

- حُسن التدبّر من الحكمة.
- حُسن التدبّر من حُسن الإدارة.
- حُسن التدبّر يجوّد المنتج.
- حُسن التدبُّر مشاركة وفاعليَّة.
- حُسن التدبّر يمكّن من رسم السياسات الناجعة.
- حُسن التدبّر يمكّن من صناعة المستقبل.
- حُسن التدبُّر حيويّة عقليَّة وفكريَّة.

. حُسن التدبُّر يدير العقول.

. حُسن التدبُّر يمكِّن من النهوض.

. حُسن التدبّر يمكّن من إحداث النُّقلة.

. حُسن التدبّر يمكّن من تحدّي الصّعاب.

. حُسن التدبّر يمكّن من مواجهة المفاجئات.

. حُسن التدبّر يمكّن من إنجاز الأهداف.

. حُسن التدبّر يمكّن من إيجاد الحلول.

. حُسن التدبّر يمكّن من تحقيق الأغراض.

. حُسن التدبّر يمكّن من بلوغ الغايات.

. حُسن التدبّر يحفّز على نيل المأمول.

. حُسن التدبُّر يمكّن من كسر القيد.

. حُسن التدبُّر يمكّن من معرفة غير المتوقّع.

. حُسن التدبُّر يمكّن من طي صفحات الوهم.

. حُسن التدبُّر يمكّن من بلوغ الخوارق.

إذن: يوجد التصاق بين التدبّر الإنساني وبين الزّمن الحاضر، أي لا تدبّر إلّا حاضرًا، وهذا الأمر جعل من التدبير يدور في المعاجم التي تنتمي

إليها الحلول الآنيَّة التي لا يمكن معاودتها مرّة ثانية؛ وذلك لأنّها لم تنتم إلى دائرة الثبات التحقّقي؛ فهي تزاول نشاطها ضمن مساحات محدودة يدفعها الخوف باتجاهات ترتبط به وبدون أن يمنحها حقّ التراجع، لأنّها في حقيقة الأمر لا تمتلكه؛ كونها تابعة للخوف بوصفه المانح لكلّ الرسوم التي تُسيّر الحلول في زمنها الحاضر وفقًا لما هو ممكن سواء أكان الممكن متوقعًا أم أنَّه على غير متوقّع.

وهنا تباشر الشّخصيَّة المتدبِّرة وجودها من خلال الارتماء في حضن الواقع الذي يكون فيه المشكّل حاصلًا بكيفيَّة متوقّعة وغير متوقّعة؛ فتنبري الحلول المستدعاة تدبّرًا بتقنيات مختلفة، إذ تدور كلّها حول إيجاد حلّ سريع وملبّيًا للواقع، ويكون الزّمن مفتوحًا ضمن مدى يقصر وقد يطول بحسب الاحتياج المطلوب، فتتعالق عوامل متعدّدة ومتنوّعة تسهم بأشكال مختلفة من أجل الوصول إلى الحلّ المنشود أملًا.

والشّخصيَّة المتدبِّرة في حاضرها تبحث عن سُبل كثيرة تريد من خلالها الوصول إلى مبتغاها تدبّرًا، ويكتنف هذا البحث تبعات في حالة الحصول على المبتغى؛ يكون حسن التدبُّر موجّها للعقل ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع، فالمتوقّع يكون حافزه ليس بالكبير كونه حاصلًا وحدوده يمكن تبيانها ووضع علامات لها، وتكون مدعاة للتقييم، ومن ثمَّ تكون قابلة للرصدّ والتحليل وللتمثّل، إلّا أنَّ غير المتوقّع تكون حدوده غير واضحة المعالم؛ فيكون الاستغراق الفكري حاضرًا في إيجاد افتراضات مستمرّة تحاول أن

تجيب عن كلّ ما يُطرح، وهذا بدوره يخلق حالة من الارتدادات المعرفية التي يكون فيها التسابق حاصلًا للوصول إلى كنف جديد يكون ملبّيًا للمراحل المرادة، فالانزواءت غير مطلوبة، والعبثية غير مطلوبة، والتوقّف غير مطلوب، والتسليم بما هو موجود غير مطلوب؛ ذلك أنَّ التدبّر يمرّ دائمًا بحالة من الحضور المغاير ممّا يحمله على البحث عن كلّ ما يمكن أن يكون فيه الحلّ المرجو[8].

وعليه فإنَّ زمن التدبّر يكون فيه في دائرة الممكن الاحتواء على السّابق والتطلّع إلى ما يمكن أن يكون لاحقًا؛ ولذا فهو الحركة الممتدة من الماضي إلى المستقبل عبر بوتقة الحاضر.

وعليه فالقاعدة الأخلاقيَّة ترى ضرورة:

- التواصل مع التَّاريخ.
- تقبُّل الآخرين.
- التواصل مع الآخر.
- التواصل مع القدوة.
- التطلّع للمستقبل.
- العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النّافع.

[8] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 127 . 131.

. استيعاب المختلف.

والاستثناء هو:

. عدم التواصل مع التَّاريخ.

. عدم تقبّل الآخرين

. عدم التواصل مع الآخر.

. عدم التواصل مع القدوة.

. عدم التطلّع للمستقبل.

. عدم العمل على بلوغ الأمل ونيل المأمول النافع.

. عدم استيعاب المختلف.

وعليه:

. أعمل على تفطين ذاكرة المتعلمين.

. بيّن لهم نقاط الضّعف التي تشوّه الذاكرة وتطمسها.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الخاطئة.

. مكّنهم من معرفة المعلومات الصّائبة.

. مكّنهم من المقارنة حتى يتبينوا عن وعي وإرادة.

. مكِّنهم من الاختيار بمسؤولية واعية.

. اغرس فيهم حبّ الآخر.

. حفّزهم على التطلّع الموجب.

. عوّدهم الاعتماد على أنفسهم والتعاون مع الآخرين.

. مكّنهم من المشاركة التي تُيسِرَ لهم النُّقلة إلى الأفضل والأجود.

ولذلك فالذَّاكرة تُصنع بقوّة الإرادة وقوّة العزيمة التي تخلق شخصيَّة قويّة متدبِّرة متحدِّية للصّعاب؛ فالشخصيَّة القويَّة المتدبِّرة هي التي لا تغفل عن معطيات الزّمن الحاضر ولا تنغلق عليها، بل تتطلّع إلى ما هو آتي؛ كي تصنع مستقبلًا تتجاوز به الآخرين الذين سقطوا في ميادين المنافسة الحرّة؛ كونهم من المستهلكين المتكئين على ظهور الغير.

ومن ثمّ ينبغي أن يركز أخصائيو التنمية البشرية وعلم النّفس والخدمة الاجتماعيَّة على دفع العملاء إلى ما يحفّزهم على تفطين الذّاكرة وصناعة المستقبل الأفضل، الذي إن لم يسهموا في صناعته فسيفاجؤون بغير المتوقّع، ولذا تُفطّن الذاكرة بنوعية التواصل الذي منه:

. التواصل مع الفضائل الخيّرة.

. التواصل مع القيم الحميدة.

. التواصل مع المعلومة المستفزّة.

. التواصل مع المختلف.

. الالتفات إلى التاريخ وما فيه من المواعظ والعبر والتجارب والخبرات.

. التواصل مع أهل القدوة الحسنة.

. التطلّع إلى ما هو أفيد وأكثر جودة.

. قبول التحدّي.

ومن هنا فإنَّ مفهوم التدبُّر يرمي إلى الحكمة التي يصوغها العقل البشري بغاية الاقدام الآمن، أو الانسحاب الآمن، أو بغاية التحايل والالتفاف والمناورة.

ولذا فالعلاقة قويَّة بين إيجاد الحكمة وحسن التدبُّر؛ كون كلًّا منهما مولود حسن التفكير الموضوعي؛ حيث لا مجال للعاطفة على حساب تقرير المصير أو إحداث النُّقلة وبلوغ الغايات ونيل المأمولات.

وقد جاء مفهوم التدبُّر من أصل الكلمة وتصريفاتها اللغوية (دبَّر – يدبّر – تدبيرًا)، وهي بهذا المفهوم كمن يقول: (فكَّر – يفكّر – تفكيرًا)؛ ومن هنا ارتبط حُسن مفهوم الحكمة بحسن مفهوم التدبُّر دلالة ومعنى؛ ولذا فكما تخرج الحكمة أصحابها من التأزُّمات يخرج التدبُّر أصحابه من التأزُّمات أيضًا.

وعليه:

فحسن التدبر يمكّن من التواصل مع التَّاريخ ويصنع الذّاكرة، كما أنّه يُمكّن من التواصل مع المستقبل ويحقّق المأمول.

ومن ثمَّ يصبح التدبّر وحسن إدارته مُمكّنٌ من إحداث النُّقلة، ومحقّقٌ للرفعة المأمولة؛ ولذلك يجب على الحكماء وإخصائي التنمية البشرية والخدمة الاجتماعيَّة والرّعاية النفسيَّة إذا أرادوا المشاركة في التغيير إلى الأفضل أن لا يغفلوا عن القواعد المهنية التي تستوجب:

. تقبل العملاء كما هم.

. البدء معهم من حيث هم.

. الأخذ بأيديهم إلى ما يجب أن يكونوا عليه.

. التأكيد على أنَّ الصِّعاب لا تصمد أمام المتحدين لها.

وهذه لن تتحقّق إلا بمراعاة الآتي:

. تفهّم حالات الأفراد والجماعات والمجتمعات وتفهّم ظروفهم الخاصّة والعامّة.

. الاعتراف بأنّ لكلّ فرد وجماعة ومجتمع حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليات يتمّ حمْلها.

. استيعاب الأفراد والجماعات والمجتمعات بما لهم وبما عليهم دون تحيّز لطرف على حساب آخر.

. تقدير الأفراد والجماعات والمجتمعات قيميًّا وثقافيًّا وحضاريًّا، في ضوء تقدير القدرات والمهارات والخبرات والإمكانات المتاحة أو المتوفرة.

وعليه تستمد قيم التواصل من مصادر مقدّرة عبر الزّمن اجتماعيًّا وإنسانيًّا.

وبما أنَّ ما يُقدّر اجتماعيًّا وإنسانيًّا، يجب أن يُوضع في الحسبان تدبّرًا. إذن على العلماء والحكماء والأخصائيين الاجتماعيين والنفسيين وإخصائي التنمية البشرية الأخذ بالآتي:

. أن يضعوا في حسبانهم وتقييماتهم كلّ ما هو مُقدّر لدى العملاء أو الأفراد والجماعات والمجتمعات.

. أن يُصنّفوا قيم الأفراد في نسق قيمي، وفقًا لأولوياتها وأهميتها بالنّسبة لكلٍّ منهم.

. أن يمدّوا يد العون للفرد والجماعة، حتى يستبصروا تأثيرات كلّ فعل وسلوك يقومون به أو يقدمون عليه.

. العمل على إحداث التغيير في النّسق القيمي للأفراد والجماعات أو العملاء، إذا اكتشف الأخصائيون أنّها تتعارض في البدائل القيميَّة المقدّرة اجتماعيًّا أو إنسانيًّا.

. العمل على تمكين الفرد والجماعة من معرفة قيم الآخرين النّافعة.

. تهيئة الأفراد لتقبّل الآخرين، الذين يبادلونهم الخبرة والمنفعة.

وبناء على ذلك، تؤكّد القواعد المهنية للتنمية البشريَّة والخدمة الاجتماعيَّة على الآتي:

. التواصل مع مبادئ وأهداف وقيم وأخلاقيَّات المهنة بمهارات متنوّعة.

. التواصل ثقافيًّا ومعرفيًّا مع الأفراد والجماعات؛ لكي يصبحوا في حالة تواصل مع قيمهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة التي حادوا عنها بنسب متفاوتة.

. العمل على تمكين الأفراد أو العملاء من الاتصال مع حواضنهم الاجتماعيَّة، دون أن يغضّوا النَّظر عن أهميَّة قيم الآخرين.

. تمكين الأفراد والجماعات والعملاء من التواصل مع أنفسهم (مع قدراتهم واستعداداتهم الخاصّة) حتى لا يُحّلقوا في الهواء خيالًا، بمنعزل عن الواقع، وما يمكن أن يتمّ الإقدام عليه من أجل المستقبل المأمول.

وعليه: ينبغي على كلّ فرد وكلّ جماعة وكلّ أمّة أن يتدبّروا أمورهم وإلّا سيجدون أنفسهم قد وقعوا في الفِخاخ.

أي: ينبغي أن يعرف الجميع أنّ حُسن التدبّر ينّجي من الوقوع في الفخ فلماذا لا يتدبّروا أمورهم؟ ولماذا لا يتعرّفوا على الفِخاخ حتى لا يقعوا فيها؟

وعليه:

. لاحظ حتى تميّز.

. تعلّم حتى تعرف.

. استوعب حتى تدرك وتتّسع معارفك.

. شارك ومارس.

. اجتهد حتى تكتسب الخبرة.

. تطلّع حتى تطوي الهوة، وتحقّق النُّقلة.

. تفهّم وافهم لتتمكّن من معرفة الأسباب.

وبما أنَّ التطلّع إلى المستقبل يتطلّب جمع القوَّة الممكّنة من بلوغه (الممكّنة من تحقيق النُّقلة).

إذن: القوّة المجمّعة في الزّمن الحاضر جزء كبير منها نتاج الماضي؛ ولذا يعدّ زمن التدبّر قاعدة الوصول بين السّابق واللاحق أو أنّه البوتقة التي تنصهر فيها الأفكار تخطيطًا بين متوقّع وغير متوقّع[9].

ولهذا ينبغي مراعاة الآتي:

. جمّع قواك لتتمكّن من صناعة المستقبل ونيل المأمول.

. تذكّر ما يمكن أن تتذكّره وتتحصّل عليه من الذّاكرة وما يمكن أن تستقرأه من الغير حتى تتمكّن من معرفة المزيد الذي كنت تجهله غفلة.

[9] عقيل حسين عقيل، الشّخصيَّة المتهيأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م، ص 94 – 108.

. اتصل وتواصل وثق أنَّ الخبرة لا تستمد إلّا من خبير.

. تعرّف على الجديد المفيد والنَّافع، حتى تتيسّر لك الأمور تجاه ما يطوي الهوة بينك وبين المأمول.

. تطلّع إلى الآخر وعلومه وثقافته وحضارته دون أن يكون ذلك على حساب قيم مجتمعك الحميدة وفضائل دينك الخيّرة.

. نافس فالمنافسة الشريفة تصنع الرُّموز وأهل القدوة الحسنة.

. نوّع مهاراتك ومعارفك، حتى تكون بين يديك أكثر من فرصة للنجاح والتفوّق.

. استوعب، تذّكر، اتصل، تعرّف، تطّلع، تفكّر؛ لكي تتسع دائرة الحدود، وتحدث النُّقلة بعد حُسن تدبّر[10].

ولسائل أن يسأل:

وما الفرق بين التدبُّر والتذكّر والتفكُّر؟

أقول:

الزَّمن أوَّلًا؛ إذ لا تذكُّر إلَّا لماضٍ، ولا تدبُّر إلّا لحاضرٍ، ولا تفكّر إلّا لمستقبلٍ. ومع ذلك الكل يتم في الوقت الحاضر، فالذي يتذكَّر في حاضره ليس له إلَّا الالتفات إلى الورى، إلى ذلك الماضي قريبه أو بعيده، أمَّا الذي

[10] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 213 – 227.

يتدبّر أمره حاضرًا ليس له إلَّا العمل، وفي المقال فإنَّ الذي يفكّر في الزَّمن الحاضر بغاية مستقبله فليس له إلَّا رسم السياسات والخطط والاستراتيجيَّات إذا أراد بلوغ حلٍّ أو صنع مستقبل وإحداث نُقلة.

التذكُّر:

يعد التذكّر الفكري عمليَّة من عمليَّات الفعل العقلي المتعلّق بالمراجعات والاستقراءات بغاية الاستنباط والاستمداد الممكِّن مِن تدبُّر الحاضر وصُنع المأمول والتفكير فيما يحفّز على بلوغه ونيله.

ويمثل الماضي خزينًا معرفيًّا متعدّدًا ومتنوّعًا، بما يستثير العقل ويحفّزه على الانتباه والأخذ بما يجب اتعظًا، فهو حافل بالكثير من التجارب المختلفة التي كان لها حضور واضح ومؤثّر سواء أكان ذلك على مستوى السّلب أم الإيجاب، ولهذا فإنَّ الوقوف عند هذه التجارب باختلافها يُعدّ وقوفًا على إرث إنساني يمثل حقبة من حقب الماضي، والتَّاريخ بتفريعاته وارتماءاته وتنوّعه يمثّل مجموعة من التجارب الإنسانية سواء أكانت على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات، وهنا يكون النّظر الحاصل منطويًا على الفكرة المطلوبة، فتُصبح بعد ذلك مطلبًا من المطالب التي لا يمكن الاستغناء عنها؛ فيكون هذا الطّلب فيما بعد حاجةً ملحةً تكون حاضرة بشكلّ أو بآخر في كثير من التفصيلات التي يكون حضورها ملبّيًا للبداية الافتراضيَّة التي كانت السّبب في هذا الحضور.

إنَّ استدعاء الماضي تفكيرًا فيه من الترابط ما يجعل التجارب الإنسانيَّة تسير وفق نسق واحد رغم العقبات التي يمكن أن تحدث؛ فالتفاعل من خلال كلّ المديات الحاصلة يمثل هذا الترابط، ممّا يجعل البحث الدّائم متحقِّقًا في كلّ زوايا الماضي؛ ذلك أنَّ الماضي فيه من التحقّق ما يمنح الحياة الآنيَّة والمستقبليَّة حلولًا مهمّة إلَّا أنَّنا لا نعتقد بالتكرار المتطابق في الحياة كون الظروف مختلفة أو غير متماثلة؛ فيكون الاختزال في كثير القضايا متحقّقًا بدرجة بعيدة ممّا يسمح بظهور مديات واضحة يُطرح من خلالها هذا التفاوت؛ ولذا تكون الصّورة المطلوبة في كثير من الأحيان غير مكتملة الأركان ضمن التشكيل المطلوب، وهذا يكون في حالة طلب الماضي ودمجه مع توجّهات الحاضر من أجل الوصول إلى إعادة تفعيل متشابهة.

ويدخل التفكير الماضي حقل التراث لكن ليس من باب الجمود كأيِّ إيقونة ممكن أن تكون، ولكن من باب التبصّر والتمعّن والإيضاح، فالإنسان يمرّ بظروف تكاد تتشابه كثيرًا على مر العصور؛ فينتج من ذلك نهايات تكون مختلفة؛ ممّا يطرح هذا الاختلاف وجود آراء مختلفة وقد شكلّت هذه النهايات ممرّ تجرّ الأمور بعد ذلك إلى منعطفات لم تكن في كثير من الأحيان بالحسبان، ولعلّ تحقّق الأحداث العظام في الماضي يمثّل أحد هذه الاختلافات؛ فالإنسان يختلف تصرّفه كثيرًا حتى في القضية الواحدة؛ إذ تحكمه الكثير من الظّروف التي تتنوّع فلا تقف عند حدٍّ معين؛ فيكون الارتماء ممثّلا بتداعيات مختلفة تطرح من خلالها الحدود المفترضة التي تكون

النّهاية عند أعتابها؛ فتنساق الأمور إلى امتدادات وإن كانت في بعض الأحيان واهية إلا أنّها ممثّلة لاتجاهات فكريَّة كانت وراءها، ولهذا لا يمكن أن تكون هناك قطعية في الحلول، فالماضي حمل الكثير من الحلول المختلفة ممّا يحيل إلى انتفاء القطعية التي يمكن أن تطرح على أيِّ صعيد، فلم يكن هناك حلًّا واحدًا لكثير من القضايا وإن تشابهت هذه القضايا إلى درجة التطابق.

وعليه فإنَّ التذكّر يلفت الانتباه إلى أهميَّة الدّروس المتشابهة أو المتماثلة بغاية الاتعاظ وأخذ العبر وتفادي ما من شأنه أن يتكرَّر بذات المعطيات فيعيد نفسه وكأنَّ الماضي لم يمضِ عليه بأعوامه ودهوره.

ولهذا فالتذكُّر يمكّن المتدبِّرين أمرهم في زمنهم الحاضر من الإصلاح والتصحيح كسبًا للوقت، واختصارًا للجهد، وتوفيرًا للإمكانات، ومن ثمَّ يخرجهم من التخبُّط والحيرة؛ قال تعالى: {فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ}[11].

هذه الآية الكريمة تلفت انتباهنا لأن نميّز بين مفهومي (التذكّر والتذكير):

. **التذكُّر**: هو الفعل في ذاته، وهو الذي يستدعيه المتذكّر بنفسه؛ قال تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

[11] الغاشية 21، 22.

نَصِيرٍ}[12]. يفهم من هذه الآية الكريمة أنَّ أهل النَّار لما أدخلوا إليها تذكّر كلّ واحدٍ منهم افعاله، ومع أنَّهم تذكّروا ما فعلوا، فإنَّ الذكرى لن تنفعهم أبدًا؛ ذلك لأنَّ الفرصة أعطيت لهم وضيَّعوها؛ كونهم ذُكّروا تذكيرًا حسنًا غير أنَّهم لم يأخذوا بأحسن ما ذكِّروا به، ومن هنا فالنّدم لن ينفعهم، بل الفرصة كانت بين أيديهم وقد أضاعوها. قال تعالى: {وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[13]، أي مع أنَّ الله تعالى حريصٌ على عباده، فإنَّ بعض العباد ليسوا بحريصين على أنفسهم، أي إنَّ الله يضرب لعباده الامثال ليلفتهم إلى ما يمكن أن يقتدوا به؛ حتى لا يجري عليهم ما جرى مع الذين سبقوهم عبر الزَّمن واحقابه، ومع ذلك لا يتعظون ولا يعتبرون، وهنا تكمن العلّة من بعد العلّة؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[14]؛ وقال تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}[15].

التذكير: هو الفعل المستدعى من طرف الآخر؛ ليلفت به انتباه الغير، فعندما لا يكون في مقدور الإنسان أن يتذكّر الحقّ أو ما يجب، يصبح في حاجة لمن يذكّره بالحق الذي يسنده سندًا، والذي من بعده يجب أن يترك له حريّة الاختيار؛ إذ لا إكراه ولا إجبار مصداقًا لقوله تعالى (فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ

---

[12] فاطر 37.

[13] إبراهيم 25.

[14] القصص 43.

[15] الزمر 27.

مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ)، أي إنَّه لا سلطان للنبي محمَّد على النَّاس إلَّا التذكير؛ ولهذا قال (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ) أي ليس لك غير ذلك؛ إذ لا إكراه في الدين؛ ومن هنا جاء التذكير مهمّة من مهام محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، وهذه من سماحة وبها الدّين الإسلامي الذي أظهر فعل السيطرة الذي لا يكون إلَّا بيد الله وأمره، أي ليس بيد أحدٍ حتى وإن كان نبيًّا؛ ولهذا فمن يحاول أن يسيطر أو يكره البعض بأيّ علَّة فإنَّ الدِّين الإسلام (كلام الله) يرفضه؛ قال تعالى: {نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}[16]؛ ومع أنَّ الله يعلم بما يقول أهل الباطل من أقاويل باطلة؛ فإنَّه لا يقرّ الاجبار والإكراه، بل استبدل ذلك معاملة حسنة بين النَّاس بقوله (فذكِّر) أي: ليس من مسئوليتك يا محمَّد ولا من مسئوليّة من اتبعك هداية النَّاس بالإكراه والاجبار، بل من مهمتك ومهمّة من اتبعك التذكير بالحقّ، وأترك الأمر أنت ومن تبعك بين النَّاس رغبة وإرادة.

ومن هنا فالتذكير الحسن فعله حسن يحبُّه الله وعباده: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى}[17]، أي: فذكِّر يا محمَّد لأنَّ الذكرى لا بدَّ وأن تنفع إلَّا من لم يرتض ذلك، أي إلَّا إذا رفض المذَّكَّر قبول ما ينفع؛ ولذا يترك الأمر له اختيارًا.

---

[16] ق 45.

[17] الأعلى 9، 10.

التفكّر:

يعد التفكُّر درجة من درجات الادراك العقلي للمراجعة بغاية المستقبل المأمول (استثارة العقل من الحاضر إلى الماضي بغاية التخطيط للمستقبل)

التفكّر لا يكون إلّا في قضية أو موضوع أو مشكلة محيّرة، وهو من أعمال العقل وعمليَّات الذّهن، وهو يُمكّن من الإدراك (ملاحقة المعلومة أو الفكرة) وإدراكها أينما كانت بحثًا أو تفكيرًا يخلّص من الحيرة المقلقة؛ فالتفكّر كونه يمكّن من إدراك الشيء قبل فوات أوانه، يعدّ حيويَّة العقل ونشاطه توجيهًا إراديًّا، وهو لا يقتصر على التفكّر في المتوفّر من المعلومات أو المتوفّر بذاته للمشاهدة، بل يمتدّ في دائرة الممكن إلى معرفة المزيد المضاف والمبدع.

ولأنّه التفكّر؛ فهو يلاحق كلّ ما يقع في الزّمن، وهدفه معرفة طبيعة المتعرّف عليه، والاستفادة منه حاضرًا ومستقبلًا، أمّا غايته فهي: التجويد وإحداث النُّقلة وصُنع المستقبل، ونيل المأمول أو الفوز به.

ولهذا فالتفكّر تشغيل العقل وتوجيهه تفكيرًا فيما يجب أن يكون غايةً وأملًا، فإنْ كان المأمول مرتبطاً بماضٍ فتشغيل العقل تفكّرًا يقود إليه، مثل: أبونا آدم عليه السّلام الذي في زمانه أصبح يفكّر في العودة إلى تلك الجنّة التي افتقدها بعد أن أهبط به والأرض إلى الحياة الدَّنيا. أمّا بالنسبة لبنيه من بعده فالتفكّر يربطهم بالمستقبل المأمول، ولأجل ذلك وجب الاتعاظ حتى لا يتمّ الإغفال عن التفكّر في المستقبل: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ}[18]، فإنْ تذكر بنو آدم تلك الآلام التي حدثت بعلل التفكير اتعظوا، ومن ثمّ ليس لهم بدّ إلّا التفكّر فيما يجب أن يصنع لهم مأمولًا ومستقبلًا عظيمًا. أمّا التفكّر في المجرّد فدائمًا ينقل المفكّرين إلى ما يمكّنهم من المعرفة المضافة كما يمكّنهم من إحداث النُّقلة.

ويرتبط التفكّر بالمستقبل المأمول وهو يمثل الامتداد الطبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهميَّة كبرى في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلفة تتّجه بحسب الاستراتيجيَّة التي وضعت له اللبنات الأولى، فالمستقبل يعدّ الأرضيَّة الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقّع وغير المتوقّع؛ وبذلك يكون التفكّر عنصرًا مهمًّا في خلق مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدمًا نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندًّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة للتأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلًا في كلّ التوجهات، وتكون التوجهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسّعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيِّ انكفاء، بل تكون الأمور عامّة

[18] الأعراف 176.

سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعليَّة تثري التفكّر وتمنحه أبعادًا مختلفةً ومهمةً، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة؛ كي يكون الاتساع المرافق ملبّيًا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شموليَّة مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر[19].

ولذا علينا أن نميّز بين مفهومي (يتفكَّرون، ويفكّرون)؛ قال تعالى: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ}[20]؛ قال يتفكّرون ولم يقل يفكّرون؛ ذلك لأنَّ قوله (يتفكّرون) يرسّخ بدون شكّ مفهومًا واضحًا ودالًا على اسبقيّة خلق السّماوات والأرض وجودًا خَلقيًّا، ولأنَّها آياتٌ شاهدةٌ فهم في خلقها يتفكّرون، أي: يتفكّرون في كيفيّة خلقها آيات معجزات وسابقة على وجود العقل المدرك لها يقينًا معجزًا، ذلك العقل الذي كلّما أدركها سلّم اعترافًا بالمستحيل الذي لا يكون إلَّا بيد الخالق الأعظم جلَّ جلاله.

أمَّا لو قال: (ويفكِّرون) فهنا يصبح الأمر متعلّقًا بما يجب أن يكون، وليس بما هو كائن وهو المرسّخ بقوله (ويتفكّرون). أي إنَّ مفهوم القول (يفكّرون) يتضمّن في معناه التردّد وكأنَّ السّماوات والأرض ليست بشاهدة أمام المدركات الحسيَّة؛ ولذا فقوله يتفكّرون يستند على الحجّة الماثلة أمام المشاهدة والملاحظة، أمَّا القول يفكّرون يشير إلى أنَّ الحجّة قد لا تكون بين

[19] عقيل حسين عقيل، من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 89 . 96، 2018م.

[20] آل عمران 191.

الأبصار أو أنَّها غائبة، ولهذا فهم في حاجة ولو لبرهة من الزَّمن ليفكّروا في الأمر؛ ولذلك فالذين تفكّروا في خلق السماوات والأرض اعترفوا بالحقّ المنزَّل حُجّةً وبرهانًا (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ). وقال تعالى: {إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ}[21] تتعلّق هذه الآية بقصّة الوليد بن المغيرة والد خالد بين الوليد (سيف الله المسلول) الذي لما سمع من القرآن ما سمعه من الرّسول استشعر في نفسه أنَّه الحقّ، ومع أنَّه قال: إنَّه الحقّ فإنَّ قومه ضغطوا عليه وعلى رأسهم أبو لهب، بأنْ ينكر اعترافه بالحقِّ، أي إنَّه فكّر بين أمرين: الإيمان أو الكفر؛ ولذا فهو بين أمر الاعتراف بالحقِّ، وبين ترضيّة قومه كفرًا؛ ومن ثمَّ فقد كفر بالحقِّ، أي إنَّه على الرّغم من تفكيره استكبر على الحقِّ ومال إلى تقدير قومه، أي: بدل أن يُقدِّر كلام الله وقوله؛ قدّر القول الذي من دونه؛ ومن هنا فإنَّ التدبُّر الذي يؤدِّي إلى عدم الاعتراف بالحقيقة وإنكار الحق لا يعد تبدّرٍ؛ ذلك أنَّ التدبُّر يعني:

. حُسن التفكير.

. حُسن الاختيار.

. حُسن القرار.

. حُسن الحكمة.

. حُسن الدِّراية.

[21] المدثر 18.

. حُسن القول.

. حُسن الحُجَّة.

. حُسن البرهان.

. حُسن التخطيط.

. حُسن الفعل.

. حُسن العمل.

. حُسن السُّلوك.

وعليه:

مع أنَّ المستقبل لا يكون إلَّا في الزّمن الآتي بعد كلِّ قول أو فعل أو عمل، فإنَّ صُنعه لا يكون إلَّا في الوقت الآن؛ ولذا فصُنَّاع النُّقلة من الوقت الآن إلى المستقبل يعملون ليلًا نهارًا من أجل تحقيقها عملًا به تتغير الأحوال من مستوياتها الدنيا إلى المستويات المأمولة رفعة.

ومن هنا فصُنع المستقبل تَفكير وتخطيط وعمل مُضني بغاية إحداث النُّقلة إلى الأفضل والأجود مما عليه الإنسان في زمنه الحاضر إلى مستقبلٍ يأمله وهو الأرفع مما هو عليه من أحوال علميَّة وسياسيّة واقتصاديَّة ونفسيَّة وأخلاقيَّة، ولأنَّ نيل التقدير والاعتراف يحقّق النُّقلة النّوعيّة، فهو الممكِّن من تجاوز المستويات القيميّة الثلاثة (الذاتيّة والانسحابيّة والأنانيّة) والامتداد إلى

المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذوقيّة والثقافيّة، كما يعتمد على التعليم والتعلّم استطلاعًا لإحداث نُقلة عظيمة تغيّر الأحوال إلى أحوال مملوءة منفعة وطمأنينة مع وافر الرّضا.

ولهذا فالقاعدة هي:

. العمل على تحقيق النُّقلة.

والاستثناء هو:

. البقاء على حالة من التخلّف.

ولذا فحسن التدبُّر والاعتراف بما يُبذل من جهود حسن، يؤدّي إلى تحقيق الطمأنينة النفسيّة والرّضا النفسي ويغرس الثّقة، التي تمدّ الإنسان بالمزيد من العطاء الموجب، وتمدّه بقوّة الالتزام الأخلاقي الذي يحسّس الآخرين بأهميّة العمل على رد الجميل أو الفضل بما هو أجمل وأفضل منه.

ولأنَّ التقدير قيمة رفيعة وكذلك الاعتراف قيمة رفيعة بين النَّاس الذين يميّزون بين ما يجب وما لا يجب، فإنّ نيل كلّ منهما مبدأ أخلاقي وإنساني، وهنا يقول فرنسيس فوكو ياما: إنَّ الرَّغبة في الاعتراف والتقدير المحركان للتاريخ هما الحلقة المفقودة بين الاقتصاد الليبرالي والسياسة الليبراليّة، وكذلك

يؤكد هيجل كيف أنَّ رغبة الإنسان في سبيل نيل الاعتراف والتقدير قد زجت به في فجر التَّاريخ في معركة دمويَّة من أجل المنزلة والمكانة الرفيعة.

ولأنّ حُسن التدبُّر وحُسن التقدير والاعتراف تمكِّن من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ لذا فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية عند من يبادلك الاعتراف، أو ينتظر أن تقدّمه له قيمة؛ فالعبد على سبيل المثال: في الوقت الذي يقبل فيه بالعبوديّة، يأمل أن يكون سيّده راضيًا عنه؛ ولهذا يكدّ ويجدّ ويتحمّل التّعب من أجل شيء مهم جدًّا هو نيل التقدير والاعتراف من سيده، بأنَّه عبدٌ مخلصٌ ومطيعٌ ومهذبٌ؛ ولذا فهو لا ينبسط إلا بانبساط سيّده منه، وهكذا حال المتعلّمين الذين يتنافسون على أخذ الصّدارة والفوز بها، تراهم يبذلون الجهود المثمرة (المحقّقة للفوز) من أجل أن ينالوا الاعتراف والتقدير من والديهما، ومن ذوي العلاقة بهم، ومن محيطهم الاجتماعي والإنساني وإلّا لماذا يبدلون المزيد من الجهد، وأيضا هكذا حال من يقول الحقّ، ويعدل إذا حُكّم، وحال من يعمل ويزرع ويصنع ويتصوّف أو يتعبد بموضوعية، أو يدخل المنافسات في المناشط المتعدّدة (الرياضيّة والفنيّة والثقافيّة والعلميّة والجماليّة) فهؤلاء جميعهم يسعون لنيل الاعتراف والتقدير من الآخرين الذين هم في محيطهم البيئي؛ إذ لا نُقلة بدون اعتراف وتقدير لما يجب ولمن يجب.

أمَّا الذين يعانون من حالات انسحابيّة فأمرهم غير ذلك؛ فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيمّية التي هم عليها، ثمّ

إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحقّق لهم النُّقلة.

وعليه:

. كُن حَسن التدبُّر لتعرف ما لك وما عليك.

. تجاوز بحسن تدبّرك الوقوف عند التنظير.

. استعد للعمل عن حُسن تدبُّر.

. تهيأ للعمل عن حُسن تدبُّر.

. تأهَّب للعمل عن حُسن تدبُّر.

. أقدم على العمل بكل تدبُّر.

. أقبل بتحدِّي الصّعاب فإنَّها لا تستطيع الصُّمود أمام المتحدين لها.

. كن إيجابيًّا لتنل التقدير والاعتراف.

. كن متفهِّما لتحدث النُّقلة.

. اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

. قدّر الآخرين تنل التقدير منهم.

. ثق أنَّ الاعتراف يحقق قيمة التقبُّل.

. ثق أنَّ الجحود مفسدة.

. ثق أنَّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

. ثق أنَّك لن تحدث النُّقلة بدون جهود تعاضدك.

. ثق أنَّك قادر على كسر القيد فلا تتأخر عن كسره.

. تأكّد أنَّ القيد قد كسر حتى لا تقع في فخّه أكثر من مرّة.

. ثق أنَّ صُنع المستقبل لا يكون إلَّا في الوقت الحاضر.

. ثق أنَّ زمن الحيرة تدبُّرًا لا يصمد أمام الصَّامدين فاصمد حتى وإن شعرت بضيق.

. ثق أنَّك بالاعتراف والتقدير تنال الاحترام وتُزال من أمامك المعوقات.

وعليه ينبغي على المسئولين أنْ لا يغفلوا عن:

. حُسن التدبُّر وفقًا للإمكانات يمكّن من إنجاز الأهداف.

. تفعيل منطق (النّحن) بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوّعة، والجماعات الممارسة للسياسة والاقتصاد، والذين يشتركون في رسم الخطط والإستراتيجيّات لمجتمعاتهم أو دولهم أو لوضع رؤية مع الغير.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنَّهم مفردات أساسيّة في الدّولة، ولهم حقوق يجب أن تمارسها، وواجبات ينبغي

أن تؤدّى، ومسئوليَّات ينبغي أن تُحمل؛ حتى يصبح منطق الجميع: (نحن معًا) من أجل إحداث النُّقلة للجميع.

. التركيز على القيم الاجتماعيَّة التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهميّة هذه القيم الاستيعابيَّة، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها؛ فهذا الأمر يجعلهم تحت مظلة الاحتضان الاجتماعي الذي يمدّهم بالدّفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم لبعض، وتقبُّلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيميَّة ذات أبعاد أخلاقيّة وأبعاد إنسانيّة جليلة.

. ضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعيَّة والإنسانيَّة بين العاملين والمتعلمين، وبين أفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وبين أصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعدّدة، وبين أصحاب الحاجات المنقوصة والحاجات المشبعة؛ ذلك لأنَّ الرّب واحد والدّين واحد، والنُّقلة العظيمة لا تكون إلَّا بالجميع ومن أجل الجميع.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابيَّة التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوّة بغاية إحداث النُّقلة رفعة إنسانيَّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعيَّة.

. التحريض على ممارسة أساليب الدّيمقراطيّة بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيميَّة أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الشفافيَّة واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسئوليَّاتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمريَّة للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعيَّة أو في القرية الصغيرة؛ حتى يتمّ الاستيعاب الموضعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزّمن، والعمل على إشباعها ونقلهم مما هم عليه إلى ما يجب أن يكونوا عليه نُقلة.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض، ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسريّة، أم علائق جيرة، أم عمل، أم سياسة داخليَّة أو خارجيَّة، أم أمر سلم، أم حرب، أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهميّة الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي

للأحكام المسبقة التي تقول: (أنّهم لن يكونوا قادرين)؛ ولذا فلا إمكانيَّة لتحقيق النُّقلة ما لم يتمكن الجميع من المشاركة البناءة.

. التأكيد على أهميَّة ممارسة الديمقراطيّة بشفافيّة، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصّعاب وصُنع المستقبل المأمول نُقلة.

. التأكيد على أهميَّة الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي وتحقيق الوحدة الوطنيّة رفعة.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التمسّك بقيمة الاستيعاب؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوّة الممكن من إحداث التغيير وبلوغ النُّقلة علمًا ومعرفةً ودرايةً.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهميَّة كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة للآخر وحاجته إليه.

. التخطيط إلى كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى توزيع المسئوليّات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيّات قانونًا ودستورًا؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلميّة والسياسيّة والاقتصاديّة، للتعرّف على المتغيرات المستحدثة، التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، والإفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم

الإستراتيجيّات التي تحقق النُّقلة ورفعة الشأن للفرد والجماعة والمجتمع، بل وللإنسانية جمعاء مع وافر المحبَّة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّوليّة؛ تحقيقًا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع المشتركة.

. ترسيخ لغة ومفهوم (النحن)، حتى لا تسري الشخصانيّة والأنانيّة في سلوك وأفعال بني الوطن؛ ذاك لأنَّ كلمتي (أنا) و(أنت) تسمح بمسافة امتداد فراغي لتجذب مشاعر الخوف إليها، ومن ثمَّ فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع (الأنت) لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثّقة، التي ينبغي أن تسود بين بني الوطن؛ ولهذا وجب سيادة (أنا) الفرد ينبغي أن أسود بكرامتي، وأنا الحريّة ينبغي أن أعم النّاس، وأنا الشفافيَّة ينبغي أن أكون في السّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصًا لأهلي، وأنا الأبوّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِّمت به الآدميّة، وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم حجّة إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النّاس كلّ النّاس الذين لهم حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسئوليَّات تُحمْل، وأنا كلمة حقّ لا بدّ أن أقال، وأنت الباطل لا بد أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوّة، وأنا صاحب

السُّلطة ومالك الثروة، وأنت الذي استولى عليهما بغير حقّ؛ فأرحل خير لك من أن ترّحل؛ ولذا فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ وفي المقابل نحن معًا نحدث النُّقلة.

من هنا تتَّضح قيم (النّحن) الاستيعابيّة، التي تُمكِّن الأفراد من حُسن التدبُّر والالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

. استوعب النَّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النَّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النَّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النَّاس بشفافيَّة تُعامل بها.

. عامل النَّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

. اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسم مشتركًا.

. تفهَّم ظروف النَّاس يتم تفهّم ظروفك.

. التفت للنَّاس يلتفتون إليك، وفي المقابل إن أعطيتهم بظهرك فلن تجد إلّا ظهورهم في وجهك.

ولأنَّ التمسّك بالمنطق تمسّكٌ بالقواسم المشتركة. إذن فالتمسّك بالقواسم المشتركة (قاعدة)، والتخلّي عنها (استثناء).

ومن هنا ينبغي العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهميّة حُسن التدبُّر والتمسّك بالقواسم المشتركة؛ حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء والتهميش.

ولهذا من أجل حُسن التدبُّر وإحداث النُّقلة ينبغي أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. التقريب القيمي بالقواسم المشتركة.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.

. التقدير معياري النجاح.

. التواصل استمراريّة علائقيّة.

. الشفافيّة وضوح في القول والفعل والعمل والسُّلوك.

. الأخذ بما يجب يمكّن من إحقاق الحقّ.

. إحقاق الحقّ يمكّن من إحداث النُّقلة.

. إحداث النُّقلة يمكن من بلوغ المأمول ونيله.

وعليه:

إنَّ حُسن الفكر وتفعيل العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيّة يؤدّيان إلى التطلُّع والقّوة والنّمو ويحدثان النُّقلة؛ أمّا إهمالهما فيؤدّي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدّي إلّا إلى الخسارة والانهزام.

ولذا فالتمسّك بحجّة المنطق يستوجب سيادة التفهُّم بين أطراف الحوار الذي به يتم تقدير الظّروف الاجتماعيَّة والاقتصاديّة والسياسيّة والنفسيّة والذوقيّة والثقافيّة، فهذه الظروف من طبيعتها لا تتساوى بين الأفراد؛ حيث الفروق الفرديَّة، والفروق في الإمكانات المتاحة.

ولأنَّ المنطق يستند على الحُجَّة والبرهان وفقًا لمعطيات أو مسلّمات تتضمّن حقائق ودلائل وإثباتات موضوعيَّة؛ فإنَّ اعتماد المنطق والحُجَّة بين الأطراف المشتركة في وحدة الموضوع يُعد تمسكًا بالقواسم المشتركة بين الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات التي ينبغي دفعها إلى صُنع المستقبل بنُقلة بها تتغير الأحوال إلى ما يفيد وينفع ويعظم المكانة ويرسخ السيادة الوطنيَّة.

التدبُّر دراية عقليَّة:

الدِّراية العقليَّة دراية واعية، والتدبُّر عقلًا ومعرفة ومفهومًا لا يكون على كفّة التوازن اعتدالًا حسنًا إلَّا بكفّة الحكمة المنقذة من الغفلة والتيهان؛ ولذا يعدّ التدبُّر دراية عقليَّة حسنة من حسنات حُسن التفكير.

ومن هنا فالتدبُّر الحسن ليس مجرّد تفكير نظري، بل لا يكون إلَّا عن مقدرة والمام بما يجب تجاه الأهداف والسِّياسات المرسومة والخطط، ولهذا فالتدبّر يربط بين حُسن التفكير وجودة العمل؛ ذلك أنَّ التدبُّر لا يكون إلَّا وكل شيء محسوب حسابًا دقيقًا، ووفقًا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع.

ولهذا فالعقل دراية مقدرة واسعة تكشف العلاقة بين السّماوات والأرض من خلال استيعاب المعجز، ومعرفة المستحيل، والبحث الممكّن من اكتشاف المتوقّع وغير المتوقّع، فالعقل دراية وارتقاء قيمة تفضيليَّة خصّ الله بها الإنسان خَلقًا وخُلقًا فهو في خَلقه كان في أحسن تقويم، أمّا في خُلقه فينبغي أن يكون على الفضائل الحميدة التي فضّلها الله، وعلى القيم الخيّرة التي ارتضاها النَّاس: {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[22].

نعم. إنَّه التفضيل للإنسان الذي يمشي سويًّا على صراطٍ مستقيم، والذي شاء الله أن يكون خليفته في الأرض؛ ولذا فالفرق كبير بين من يمشي مكبًّا على الأوجه ومن يمشي سويًّا (مقوّمًا)؛ ذلك هو أمر الخالق ومشيئته

[22] الملك، 22.

التي شاءت التفضيل لمن يمشي سويًّا على غيره من المكِبّين؛ إنَّها الفضيلة الباقية التي لا تتبدّل؛ كونها صُنع الخالق، أمّا المتبدّل فهي الأخلاق التي لا تكون إلَّا بيد المخلوق.

ولذا فلا إمكانيَّة لتلك المخلوقات المكِبّة والزَّاحفة أن تتطوّر وترتقي كما يظنّ بعض البحّاث لتصبح غير زاحفة، أو غير مكبّة الأوجه، وفي المقابل

يمكن للإنسان الذي يمشي سويًّا أن ينحدر خُلقًا فيضل ويظلم ويعتدي بغير حقّ، ومع ذلك فلن ينحدر خَلقًا، أي: يُمكن أن تصبح أخلاق الإنسان سُفليَّة ودونيَّة، أمَّا خَلقه فسيظل في أحسن تقويم، ولن يتبدّل.

وهذا ما حصل مع الإنسان الأوّل (آدم) عليه السَّلام الذي خُلق في أحسن تقويم ولم يُخلق على الكمال، إنَّه الإنسان الذي خُلق مسيّرًا ومخيّرًا (يصيب ويخطئ)، وبين هذا وذاك يستغفر فيُتاب عليه.

ولأنَّ الأخلاق لا تخرج عن دائرة الممكن رُقيًّا فلا استغراب أن يحدث الخطأ، بل الاستغراب ألَّا يصحّح ولا يقوّم، كما صحّحه أبونا آدم، وقوّمه ساعة حدوثه، وساعة كشف علله دراية: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[23]؛ ذلك لأنَّ الكلمات الصّائبة تصحّح الأخطاء الواقعة دراية تامَّة وكاملة، وهذه تتعلّق بارتقاء الأخلاق ولا تتعلّق بالخَلق الذي لا يتبدّل.

[23] البقرة، 37.

ومن ثمّ في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع لا بدّ وأن يقع الإنسان في الخطأ، أمَّا الاستثناء في دائرة الممكن ألَّا يُصححه، ولهذا أخذ أبونا آدم بالقاعدة، وهي: متى ما وقع الخطأ وجب التصحيح الذي يوجب تصحيح المعلومات الخاطئة بالمعلومات الصّائبة دراية.

وعليه:

فالارتقاء قيمة خُلِقَ الإنسان عليها من طين الجنّة عندما كانت الأرض مرتقة في السّماوات: {أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا}[24]؛ ولأنَّ الإنسان الأوّل خُلق من تراب الأرض المرتقة في السّماء جنّة، كان خَلقهُ في أحسن تقويم: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[25].

ولذا فأساس خَلق الإنسان التقويم الحسن دلالة ومعنى وصورة، أمَّا الاستثناء ألَّا يحافظ الإنسان على حُسن التقويم الذي خُلق عليه خَلقًا، وهذا ما حدث مع أبينا آدم عندما لم يأخذ بما أُمِرَ به وهو: ألَّا يأكُلّ من تلك الشّجرة: {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[26].

---

[24] الأنبياء، 30.

[25] التين، 4.

[26] البقرة، 35، 36.

ومن هنا جاء انحدار أبينا آدم عوضًا عن الارتقاء الذي خُلق عليه خَلقًا: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[27]؛ حيث الهبوط على الأرض التي فُتقت من السّماوات فأصبحت أرضًا دنيا إذا ما قورنت بما بقي في علوٍّ (في السّماء)، ولكن آدم الذي خُلق على حُسن التقويم فبعد الدّراية تدارك أمره فاستغفر ربّه؛ فتاب عليه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[28]، ولهذا فقد استثني آدم من الوجود السُّفلي كونه تاب الله عليه بسبب استغفاره ورُقي إيمانه: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}[29].

وعليه:

فالإنسان الأوَّل (آدم) كونه قد خُلق في أحسن تقويم فتقويمه الخَلقي لم يتغيّر، بل الذي تغيّر هو عدم أخذه بما يبقي الأخلاق ارتقاءً؛ وذلك حينما أخذ بما يغوي، وهو المنهي عنه: (ألَّا يأكل من تلك الشّجرة)، فحاد آدم عن الخُلق الذي هو بيده تخييرًا، ولكن لم يحدّ عن خَلقه المقوّم تسييرًا؛ إذ لا إمكانيَّة له في ذلك (إنَّه صُنع الله).

ولذا فالارتقاء عقلًا لا يكون إلَّا كيفًا؛ كونه يتعلّق بالدّراية لا بالماديَّات، وهكذا حال النُّقلة التي لا تكون عقلًا إلَّا عن معرفةٍ وعلمٍ، وهي تختلف عن النَّقلة التي لا تكون إلَّا مادَّة.

---

[27] التين، 5.

[28] البقرة، 37.

[29] التين، 6.

إذن: فالارتقاء عقلًا لا يكون إلَّا وعيًا، وبه يتم التمييز بين ما يجب وما لا يجب، وبه دراية يتم الاقدام على ما ينبغي، والانتهاء عمَّا لا ينبغي، ومن هنا تتحقق الرّفعة بكل ما يؤدّي إلى النُّقلة إلى الأفضل والأنفع والأجود، أي: إنَّها تتحقّق بالتخلّي عن كل ما يؤدّي إلى السُّفليَّة والدّونيَّة.

ومع أنَّ خَلق الإنسان جاء على الرّفعة خَلقًا، فإنَّه أخلاقًا يقع فيما يؤدّي به إلى الدُّونيّة والسُّفليَّة؛ ولذا فلا ارتقاء إلَّا بفضيلة حميدة أو قيمة خيِّرة، ولا دونيّة إلَّا بالتخلّي عن الفضائل والقيم.

ومع أنَّ أمر الارتقاء الآدمي جاء خَلقًا مميّزًا عن غيره من المخلوقات وبقي متميّزًا وسيظل، فإنَّه أخلاقًا انحدر سُفليَّة؛ ذلك لأنَّ أمر الخَلق بيد الخَالق جلَّ جلاله، أمَّا أمر الأخلاق فبيد المخلوق الذي خُلق على التسيير خلقًا، وتُرك له التخيير فيما يشاء إرادة سواء أكان ما يشاءه دراية عن فضيلة وقيمة، أم ما يشاءه بلا فضيلة ولا قيمة.

ولأنَّ الخَلق بيد الخالق فلا تخيير، ولأنَّه لا تخيير فسيظل من خُلق مكبّ الوجه مكبًّا، وسيظل الزّاحف زاحفًا، وسيظل من يمشي سويًّا على قوامه في أحسن تقويم، ومن ثمّ فسيظل القرد قردًا، والإنسان إنسانًا، والسّمك سمكًا.

ونظرًا لأهميَّة الإنسان في الوجود الخَلقي جاء خَلقه من عجلٍ: {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ}[30] والعجل هو الشيء الذي نجهله صفة، وندركه شيئًا، فقوله: (من عجلٍ) أي: من شيء مميّز، ولم يقل: (على عجلٍ) أي: لم يقل

[30] الأنبياء، 37.

(على تسرّعٍ)؛ فالخالق تعالى يخلق بالأمر لا بالجهد، ولهذا فخلقه لا تسرّع فيه، ولأنَّه لا تسرّع، قال: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[31]. مع العلم أنَّ العَجل في كلام أهل حمير يعني: الطّين، وهذا المعنى ينسجم مع قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ}[32]، والسّلالة هي: النّوعيّة الرّاقية من طين الجنّة حيثما كانت الأرض مرتقة مع السّماوات في علاها؛ وذلك لأنَّ خَلق الإنسان لم يكن على الأرض الدُّنيا، بل كان خَلقه على الأرض قبل أن تُفتق عن السماوات، ويُهبط بها دُنيا، ولهذا فالسّلالة تدلّ على أصل الخلق الآدمي من تراب الأرض المرتقة في السّماوات؛ حيث رُقي طين الجنّة.

ومن هنا فسلالة خَلق الإنسان خاصّة به، والسّلالة تعني الجودة الرّاقية ذات الخاصيّة المتميّزة (جنسًا ونوعًا)؛ ولذا فلا عجل، ولا عبثيَّة في خَلق الإنسان الذي خُلق من طين الجنّة، والذي جودته تصلصل ارتقاء: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ}[33].

ولأنَّ الإنسان الأوَّل (آدم) قد خُلق في أحسن تقويم فهو من حمإ مسنون (من مادّة ذات جودة عالية)؛ إذ لا شائبة، ومن ثمّ فلا طين يماثلها، فالطّين الذي خُلق منه الإنسان من صلصال (أرقى أنواع الطّين).

---

[31] التين، 4.

[32] المؤمنون، 12.

[33] الحجر، 26.

ومن هنا خُلق الإنسان مُفضّلًا على جميع المخلوقات بما فيها الملائكة والجنّ: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}[34].

ولأنَّ الإنسان هو المفضّل خَلقًا، وله ملكات العقل الدَّارية، فعلّمه الله نبأ ما لم يعلمه الملائكة: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}[35].

ولأنَّ خلق آدم كان أكثر ارتقاء من غيره، سجد الملائكة إليه طاعة لأمر الله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا}[36]، أي: بأسباب الخَلق ارتقاء وكذلك النّبأ العظيم الذي تلقاه آدم من ربّه، سجد الملائكة له طاعة للنبأ الذي أنبأه الله به.

ولأنَّ الجنس الآدمي هو المفضّل ارتقاءً، كان آدم نبيًّا للملائكة والجنّ والإنس جميعًا: (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) فلمّا أنبائهم سجد الملائكة إِلَّا

---

[34] البقرة، 30.

[35] البقرة، 31 . 33.

[36] البقرة، 34.

إِبْلِيسَ (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ). وإلّا هل هناك من يشكّ في أنَّ الذي سجد الملائكة له لم يكن على الارتقاء مفضَّلًا؟

أمَّا الخَلق الثَّاني: فهو الخلق المؤسّس على النّطفة (الماء الدّافق): {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ}[37]، وهذا الخلق هو الخَلق التزاوجي، الذي يختلف عن ذلك الخلق المصلصل، ممّا جعل السّلالة الثَّانية تختلف عن السّلالة الأولى، فالسّلالة الأولى: من طينٍ لازب، والسّلالة الثَّانية: من ماءٍ دافق مَهين: {ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَاءٍ مَّهِينٍ}[38].

ولأنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء فينبغي أن يكون عليه قمّة وكأنّه كبد الكون: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ}[39]، أي: خُلق الإنسان على المحبّة تميُّزًا فينبغي أن يكون عليها كبدًا تتألم مع من يتألم، وتأمل الخير مع من يأمله، وتعمل في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع على تحقيقه، وكذلك ينبغي أن تسعد مع من يسعد، وتسعى خيرًا استقامةً واعتدالًا ولا مظالم، فتجمع ما تفرّق من أجل إعادة قيمة الإنسان وحفظ كرامته، وما يؤدّي به إلى الرّفعة والارتقاء دراية.

وعليه: تعدّ الأخلاق نتاج الفضائل الحميدة، والقيم الخيّرة، التي تستمدّ من الأديان والأعراف ارتقاء، فبها يرتقي الإنسان قولًا وفعلًا وعملًا ومعرفةً

---

[37] النحل، 4.

[38] السجدة، 8.

[39] البلد، 4.

وسلوكًا؛ من أجل علاقات اجتماعيَّة وإنسانيَّة مؤسّسة على نيل التقدير والاعتبار.

وبما أنَّ الإنسان أساس خَلقه الارتقاء (في أحسن تقويم) فإنَّ غايته الارتقاء خُلُقًا إلى ما يجب، ومع أنَّ الأخلاق بيد النَّاس، فإنَّ بعضهم يخسرها بلا ثمن؛ ولذلك فالإنسان الأوّل قد خُلق من تراب الجنّة، وظل على خَلقه سلالة بشريَّة تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده، فالإنسان هو الإنسان، ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن هو بين متوقَّع وغير متوقَّع، فآدم وزوجه خُلقا في الجنّة من تراب الجنّة، ومع ذلك تعرّضا لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن القيم؛ حيث عدم التزامهما بالأمر النَّاهي عن الأكل من تلك الشَّجرة المنهي عنها: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[40].

ولذا فإنَّ البقاء في الجنّة بقاء فضائل خيّرة وقيم حميدة، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصَّلاة والسَّلام الذي خُلق في الجنّة خَلقًا أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدّنيا؛ وذلك بأسباب معصيته وميله لوسوسة من أغواه شهوة.

ولأنَّ الأخلاق يتمّ تشرّبها فضائل خيّرة فبعد أن تَلقّى آدم كلمات من ربّه ترشد إلى التي هي أقوم تاب الله عليه درايةً: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ

[40] البقرة، 36.

فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}[41]، ومع ذلك صدر الحكم عليه والأرض ومن عليها من المخالفين أن يهبطوا من علوٍّ وارتقاء إلى سُفليَّة ودونيَّة: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا}[42].

ولأنَّ الهبوط كان نتاج الانفتاق العظيم فهو خروج من الجنّة؛ حيث ظلّت الجنّة في العلو رُقيًّا، وظلّ آدم ومن معه من المخالفين والعصاة (الإنس والجن) يحيون الحياة الدّنيا على الأرض الدّنيا، وفي المقابل بقي الملائكة الطّائعون في علو الجنّة ارتقاءً، ولا يتنزّلون إلى الأرض الدّنيا إلّا تنزيلًا؛ لأداء مهمّة تربط أمرًا بين السّماء والأرض، ونحن نجهله فلا ندريه: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[43].

ولأنَّها الأرض الدّنيا وحياة المخالفين والمختلفين عليها مملوءة وسوسة وإغواء، إذن: فلا إمكانيَّة لأن تكون فيها الحياة آمنة مستقرّة لو لم تتنزّل الرّسالات والأنباء الواعظة، والنّاهية، والآمرة، والمحذّرة، والمنذرة، والمبشّرة بما هو أمل يشبع حاجة ويرضي رغبة؛ وذلك من أجل علاقات إنسانيَّة تنظّم أساليب الحياة ارتقاءً، وتُلفت المختلفين إلى ما يؤدّي بهم إلى الاتعاظ، ويمكّنهم من إحداث النُّقلة وبلوغ القمّة دراية.

---

[41] البقرة، 37.

[42] البقرة، 38.

[43] القدر، 3 . 5.

فَأُنزلت الرّسالات درايةً تأمر وتنهى: {وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[44]، بمعني: يجب أن يكون الإنسان على الأخلاق الكريمة أينما كان، سواء أكان آدم وزوجه في الجنَّة ارتقاء، أم أصبحا وبنوهم على الأرض انحدارًا، غير أنَّ الحياة العليا بعد تلك الإغواءات قد جُرّدت من النقائص والحاجات التي أثّرت انحدارًا على الإنسان الأوّل (آدم) ومَن شاركه في المعصية أو حرّضه عليها، وأصبحت الحياة هناك ارتقاءً كاملًا.

أمَّا بعد الهبوط فَالفتن لم تنته، بل تكاثرت مع التزاوج والتكاثر، فالصّدامات والخصومات بين أبالسة وشياطين الإنس والجنّ استمرّت بلا انقطاع، ومع ذلك فإنَّ بقاءها في الحياة الدّنيا هو بغاية الاتعاظ، وأخذ العبر من ذلك الإغواء الذي كان سببًا في هبوط المخالفين من الحياة الرّاقية إلى الحياة الهابطة.

ولأنَّ مخالفة آدم وزوجه لِمَا نهى الخالق عنه: (الأكل من تلك الشّجرة قد أخرجهما من الجنّة) فظلّ هذا الدّرس شاهدًا على ما يمنع بني آدم من أن يدخلوا الجنّة، أي: بما أنَّ تلك المخالفة قد أخرجت آدم وزوجه من الجنّة، إذن: فكيف لبني آدم من دخولها؟

أقول:

[44] البقرة، 190.

قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[45].

ولأنَّ أمر الهبوط كان أمرًا حاسمًا لمخالفة جرت في الجنّة إذن: ألا يعدّ أمر الهابطين أمرًا حاسمًا في عدم الدّخول إليها؟ وهل من مُخرجٍ من هذه الأزمة وأنَّ معظم الخَلق لهم من المخالفات ما لهم على الانحدار والدونيَّة؟

أقول:

قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}[46].

من هنا وجب إعمال العقل دراية حتى التبيّن وعيًا دون إكراه، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر؛ ولذا وجب قول الحقّ وترك النَّاس أحرارًا يختارون ما يشاؤون إرادة، ولكن إن حدث الانحراف فوجب الإصلاح الذي يستوجب البدء مع المنحرفين من حيث هم: (جهلًا أو تعلّمًا)؛ وذلك من أجل بلوغ الإصلاح، أو بلوغ الحلّ ارتقاء وعن دراية.

ولأنَّ الأخلاق ارتقاءً هي أساس المعاملة الحسنة فالأخذ بها عقلًا ودراية لا شكّ أنَّه يجعل الإنسان على المحبَّة، بدلًا من أن يكون على الإكراه الذي لا يترك إلّا ألما: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[47]، أي:

---

[45] الأنعام، 160.

[46] الزمر، 53.

[47] يونس، 99.

فلا داعي أن يضيق صدرك يا نبي الله وأنت تعلم أنَّ مشيئة الخالق هي الفاعلة: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا}[48]؛ لذلك كان محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام داع إلى سبيل الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه، وهذه عين الأخلاق درايةً وارتقاءً، فالأخلاق تعد قيمة ارتقاء في ذاتها، وهي عندما تتجسّد في السّلوك يصبح سلوكها قمّة، ومن هنا فمن أراد أن يكون قمّة فعليه بعقله دراية.

ولأنَّ الارتقاء خَلقًا لا يكون إلَّا بيد الخالق فقد خَلق الخَالق آدم في أحسن تقويم من غير أب ولا أم (من تراب الجنَّة الصلصال)؛ إذ لا إنس من قبله، ولأنَّه كذلك جعله الله على الارتقاء نبيًّا؛ فسجد له الملائكة طائعين، إلّا إبليس، ومع أنَّ آدم قد خُلق في الجنّة والأرض مرتقة في السّماوات، فإنَّه بمخالفة أمر الخالق أُهبط به والأرض، وكذلك معه من كان سببًا في إغوائه ومعصيته، وأيضًا من قَبِلَ الإغواء معه معصية (زوجه)، وهنا تكمن العلّة التي دعت آدم ندمًا واستغفارًا وتوبةً، ولكنَّ قرار الهبوط نافذ: {قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[49].

ومع أنَّ آدم تاب لربّه دراية، فإنَّ توبته لم تَحُلْ بينه والهبوط على ظهر الأرض إلى الحياة الدُّنيا بعد أن كان على أرض النّعيم قمّة وارتقاء، فآدم

---

[48] يونس، 99.

[49] الأعراف، 24.

عصى ربّه، ثمّ تاب؛ فتاب الله عليه، ثمّ اجتباه نبيًّا؛ لِيُنبئ من بُعث إليهم نبيًّا: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[50]، وهنا يكمن أمل آدم في العودة إلى الجنَّة ارتقاءً تلك الجنَّة التي فقدها ولم يعد يراها نعيمًا على الأرض المغبرّة التي أُهبط بها أرضًا، ولكن كيف يعود آدم إلى ذلك النّعيم الوافر؟

لا سبيل له عقلًا ودراية إلَّا الاستغفار عن معصيته، والتوبة إلى خالقه؛ ففعل ذلك عن قلب؛ فاجتباه ربّه نبيًّا، وعلّمه ما لم يكن يعلم، ومن ثمَّ أدرك آدم دراية أنَّ فرصة العودة إلى الجنّة بعد توبته أصبحت ممكنة إن عَمِلَ وأتقن عمله عقلًا ودراية.

ولذلك فَمِن بعد آدم أصبح العمل هو الممكِّن من إحداث النُّقلة وتحقيق الارتقاء دراية ورفعة، فتلك الجنّة التي خُلق فيها آدم لم يرها ابناه، فهما ولدا في الحياة الدّنيا (السُّفليَّة)، ولكن إنباء أبيهما أصبح بينهما حُجَّة وموعظة وعبرة، فبدأ العمل دراية وارتقاءً من أحدهما، وهو يأمل بلوغ ما أنبأه به أبيه الذي شهد ذلك النّعيم فأخذ بالنبأ وأمل الارتقاء إلى النّعيم نصب عينيه، وفي المقابل أخاه أخذته الشّهوة انحدارًا وسُفليَّة؛ فقتل أخاه في الوقت الذي يبسط إليه أخوه يده محبّة: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ

[50] طه، 122.

بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[51].

وعليه:

فالارتقاء عقلًا ودرايةً مؤسّس على الفضائل الحميدة والقيم الخيّرة؛ وذلك ارتفاعًا عن كلِّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الانحدار والسُّفليَّة، حتى بلوغ ما يُمكِّن من إحداث النُّقلة الممكِّنة من بلوغ الجنَّة عيشًا رغدًا، ومن هنا وجب عمل العقل عن دراية بالعمل المحقّق للعيش النّعيم، الذي فيه الوفرة:

. تغذي الرّوح نشوة.

. تطمئن النّفس سكينة.

. تخاطب العقل دراية.

. ترضي القلب يقينًا.

. تشبع البدن حاجة.

. تزيد الذّوق رفعةً وارتقاءً.

وعليه: فإنَّ الحياة الدُّنيا دراية عقليَّة إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا فهي حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت أوَّل ما

[51] المائدة، 28 . 30.

بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثمّ اتّسعت وتكاثرت مع التكاثر فأصبح الصّدام والاقتتال انحدارًا من بعض النَّاس، وفي المقابل يرتقي بعضهم رفعة؛ فآدم الذي خسر ذلك الموقع الرّفيع، أصبح يأمل العودة إليه دراية؛ ولذلك فقد سعى استغفارًا وتوبة أهَّلته لأن يكون نبيًّا ينبئ بما عُلّم به من قِبل خالقه، ومن ثمّ فلا مكان له بعد النبأ العظيم إلّا الجنّة، التي لا تبلغ ارتقاء إلّا بالعمل الصّالح عقلًا ودراية.

ولذلك أصبح العمل ارتقاءً أمل المصلحين السّاعين إلى الكسب الحلال بلا حدود، من أجل العيش الرّغد؛ ولذا فالسّاعون ارتقاء مهما بلغوا من المراتب والقمم فهم يأملون مراتب عظيمة من بعدها قمّة أعظم، ولهذا وجب اتقان العمل إخلاصًا ودرايةً، حتى الارتقاء بالأرض الدّنيا ورتقها في السّماء جنّة.

ومن هنا وجب العمل المكِّن دراية من بلوغ الأحسن والأرقى، شريطة ألا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن يكون العمل تُرسًا من تروس عجلة الحياة العامّة؛ ذلك لأنَّ الارتقاء الممكّن من العمل المرضي لا يُمكن أن يتحقّق والغير يتألم؛ ولذلك فالعمل وفقًا لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرض خاصّ وهو: إحداث النُّقلة عن درايةٍ، وغرض عام يُحفِّز الآخرين ويدفعهم للرفعة، وإلّا فألم الغير لن يفسح الطريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية وهو لا يدري.

وعليه: فبنو آدم في دائرة الممكن هم بين متوقَّع الارتقاء عقلًا ودراية، ومتوقَّع الدونيَّة غفلة وشهوة، ومن جهة أخرى هم يتبدّلون؛ إذ لا ثوابت فمنهم من يبقى على الارتقاء، ومنهم من يتخلّى عنه، ومنهم من نراه في دونيَّة، ولكن من بعدها يبلغ القمم ارتقاء؛ ولذلك ينبغي العمل مع بني آدم من حيث هم، من أجل الارتقاء بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه دراية عقليَّة واعية.

ومن ثمّ ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والرّفعة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميَّة فضيلةً، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمةً، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار عِلَّة.

إذن: فعلى العقل الآدمي درايةً أنْ يعي بإمكانيَّة بلوغ السّماء ارتقاء كلّما عمل وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ومأمولات يتم نيلها، ولكن إن أحسّ العقل وهو منفردًا بشيءٍ من التّعب، فعليه بوضع اليدين مع الأيدي صعودًا وارتقاء.

فالارتقاء عقلًا ودراية مثل المعمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة، وفكرة من بعد فكرة، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل من بعده مأمول أعظم)، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسًا على عقب، وهناك من يهدّه لبنة بعد لبنة، فالصّراع

بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، والهادمين له انحدارًا؛ ولأنَّ الخالق خلقنا على الاختلاف فلا بدَّ أن نظل عليه مختلفين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[52]، ولهذا فالصّراع والصّدام بين أهل العقول والدِّراية وبين أهل الشهوة والتمدُّد على حساب الغير سيظل ساريًا صراعًا بين حقٍّ وباطلٍ.

ولذا فإنَّ الاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة خيّرة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي عقلًا ودرايةً أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا وارتقاءً.

وعليه: فمن أجل الارتقاء قمّة ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن، فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين، ومن ثمَّ يجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظروف دراية وارتقاءً، ومن يضيّعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم، فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة فالنّدم دراية يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف

[52] هود، 118، 119.

صائبة، أي: متى ما غلبت الشهوة عقل الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي عقله دراية ارتقاء تذكّر، فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر عمل وأنتج، ومتى ما فكّر درايةً حدّد أهدافًا من ورائها أغراض، وغاية من ورائها مأمول يتم نيله.

إذن: وجب التدبُّر دراية بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين، فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بأهل العقول والدّراية، وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرًا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يُمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة، فيخلّصهم من التسوّل إرادةً وعملًا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة، فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة، والمأمولات قمّةً وارتقاءً.

فرجالات الدّولة عقلًا ودراية هم من لا تأخذهم العصبيّة؛ ذلك لأنَّ العصبيّة مقبرة الذين لا يعلمون، فرجالات الدّولة دراية وارتقاء كلّما حكموا عدلوا، وكلّما قالوا صدقوا، وكلّما عاهدوا أوفوا، وكلّما كَبِروا تواضعوا، أمَّا المدّعون لذلك فهم مع كلّ هبَّة ريح يميلون، وهنا تكمن علّتهم وسُفليَّة الدَّولة ودونيَّتها.

فقيام الدّولة ورفعتها ارتقاء لا يكون إلَّا عن عقلٍ ودرايةٍ، ولهذا ينبغي أن يتم استهداف رجالات بعينهم لإدارتها وفقًا لما هم عليه من مكانة ودراية وخبرة وتجربة ومهنيّة، ومع ذلك ينبغي أن يتم اخضاعهم للتقييم قبل أن يتمّ اختيارهم إلى مناصب إداراتها، وكذلك فهم بعد الاختيار يقوّمون كلّما حادوا عن الدّراية قيمًا وفضائلًا؛ وذلك أوَّلًا: بهدف إعادتهم إليها ارتقاءً، وثانيًا: محاسبة من أنحرف منهم عن قيم حَمْل المسئوليَّة التي تم اختيارهم إليها إرادة.

ومن ثمّ فمن يرى نفسه رجل دولة فعليه باختبار نفسه وتقويمها قبل أن يُختبر ويقوّم من قِبل الغير.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين كرام يدركون أنَّ السّبيل إلى النّجاح هو الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزّم العلاقات، أو يؤدّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنيَّة، أو الإنسانيَّة، أو يمسّ معتقدًا دينيًّا، ومع ذلك فهناك من يجهل ويغفل، فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين، التي تزداد ضيقًا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنَّ للألم أوجاعًا، وللتأزّم أوجاعًا، فإنَّ أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجب الدِّراية وأخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمَّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنَّ نار الحقد تحرق أوَّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فالحقد يُلهي الحاقد من بني آدم في نفسه، والحاقد في حقيقة أمره في حاجة لمن يطفئ عنه النَّار التي بها نفسه تحترق، ومن ثمّ فمن يعتقد أنَّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها، فلا شكّ أنَّ عضَّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنَّ الجهل والحقد والظّلم والعدوان والكيد والمكر عندما تشتعل نيرانها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلّا التخلّف، والانحدار، والسُّفليَّة المؤلمة، وفي المقابل الشّعوب دراية ترتقي علمًا ومعرفةً وتسامحًا وخبرةً وتجربةً، فتغزوا الأرض سلامًا، والسّماء بحثًا وارتقاءً.

وعليه: فبنو آدم بلا عقل ولا دراية وبلا أمل لا يعدّون إلّا أمواتًا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون من أجله فسيبقون على أملهم وكأنَّهم بلا أمل، أمَّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل فلا شكّ أنَّه سيُسهم في إحداث النُّقلة دراية وارتقاء، وفي المقابل هناك من يهدم وهو لا يعتقد أنَّ الهدم سيقع على رأسه وكأنّه بلا رأس.

وهكذا بلا عقول ولا دراية هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك لا ينبغي أن يكون بنو آدم سماعيّين فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظًا، وعليهم بالتدبّر تحليلًا وتفسيرًا وتخطيطًا وسلوكًا وعملًا، وعليهم بالتّفكّر دراية من

أجل ما يجب حتى يتمكّنوا من الارتقاء من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسؤوليَّات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه:

فارتقاء بني آدم مؤسّس على ما أخبرهم وأنبأهم به أبوهم آدم، ومن بُعث من بعده من الأنبياء والرّسل صلوات الله وسلامه عليهم، ولهذا فهم يأملون العيش في ذلك النّعيم المنبئ عنه؛ ولأجل ذلك فمن آمن منهم وعيًا ودراية يسعى ويعمل من أجله ارتقاء، ومن لم يؤمن ستظل فُرصه على قائمة الانتظار ما بقي حيّا.

فبنو آدم عقلًا ودرايةً من أجل تلك الجنّة التي وُصفت بما وُصفت به من عظمة، يصلّون لله من أجل بلوغها، ويصومون ويزكّون ويتصدّقون ويحجّون ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم من أجل بلوغها؛ ولذلك هم يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغها، ويتعلّمون ويعملون من أجل بلوغها، ومع ذلك فهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكِّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعًا وتمدّدًا.

وهنا أقول لبعض علماء الفيزياء وعلماء الفلك: ما قد تمّ اكتشافه عن الكون من قبلكم قد أخبرنا به القرآن الكريم الذي أنزل قبل أن يفكّر أحد في غزو الفضاء، وقبل أن يتمّ اكتشاف أسرار من الكون؛ ولذا فَلِمَ لا تتوقّفون

عند الكتاب لتتبيّنوا قوله لعلكم ترشدون إلى المزيد من الاكتشاف العلمي عقلًا ودرايةً، وإلى ما يُمكّن من الارتقاء من أجل بني آدم (النَّاس جميعًا)، ومن هنا فإن كنتم أهل موضوعيَّة فلا يليق أن تتجاهلوا كتابًا يملأه العلم والبيّنة والدراية؛ فأنا لا أقول لكم: ادخلوا الإسلام، ولكن أقول: أنتم أهل علم، وها هو مصدر ثمين يملأه العلم آية ومن بعدها آيات.

وعليه: فالارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم هو: أملٌ قابلٌ لأن يتحقّق ويتمّ بلوغه، ولكنّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء وما فيها من نعيم الجنّة وبقاء الحياة، أمَّا الدُّنيا فهي الأرض وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة؛ ولذا فبين هذا وذاك وجد الإنسان نفسه بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى، فالتّخيير (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحًا أو تعمل طالحًا، تَصدُق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمَّا التّسيير فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قمّة يمكّن بني آدم عقلًا ودراية من العيش الرّغد في الحياة الدّنيا (الزائلة) ويمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)، فبنو آدم عقلًا ودرايةً لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يربطون أملّ عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدّائمة؛ ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاء.

إذن: فالإنسان ينبغي أن يعيش والأمل لا يفارقه؛ فإن فارقه الأمل فلا معنى للحياة، فالله خلق أبانا آدم في النّعيم؛ ليعيش وبنوه حياة النّعيم، ولكن بأسباب الإغواء والمعصية أفسد حياته الباقية بالحياة الزَّائلة (الحياة المنقوصة)؛ حيث الفقر والألم والفاقة والمرض والتعرّض للمفاجآت والموت، ومع ذلك وجب العمل الممكّن من بلوغ الحلّ رفعةً وارتقاءً.

ولسائل أن يسأل:

أيّ حلّ تعني؟

أقول: حلّ أزمة الحياة الدّنيا، التي تتطلّب العمل عقلًا ودراية بهدف النّهوض، وغرض الارتقاء، وغاية بلوغ القمّة (الحياة الباقية)، ثمَّ نيل المأمول جنّة؛ ولهذا فلا ينبغي أن يرضى بنو آدم بالفقر، فالفقر مرض ينبغي القضاء عليه بالعمل المنتج؛ ولذا فلو عمل بنو آدم جميعهم لما وجد الفقر مكانًا له على الأرض، ولأنّهم لا يعملون جميعا فسيظلون فقراء مهما استغنى منهم من استغنى.

التدبُّر استقراء فكرة:

التدبُّر قيمة فكريّة به يتم توليد الفكرة من الفكرة، وبه أيضًا يتم نقل الفكرة إلى العمل والفعل، وهذه كلَّها لا تتمّ إلى بعد استقراء الواقع ومعرفة كيفيّة تجاوزه تدبُّرًا؛ وذلك بغاية تحسين الأحوال وإحداث النهضة أو بلوغ الرّفعة ونيل المأمولات المرجوَّة.

ومن هنا تعدّ الفكرة استقراء مُسبقٌ لما يمكن أن يحدث أو يتحقّق، ينتجها العقل، ويتمكّن من استخراجها من الكمون إلى الظّهور الممكّن من الاستنباط والتحليل والنقد والتطوير أو التحسين بغرض الإصلاح أو بلوغ معرفة الحل والعمل على بلوغه.

ولذا فالفكرة لا تكون إلّا من إعمال العقل، الذي بإمكانه أن يستمدّ الشيء المجرّد من الشّيء المشاهد أو الملاحظ، كما هو استمداد القوانين من المعطيات الكونيَّة والطّبيعيَّة، ولأنّها مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه وُلّدت منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النَّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباها لما يجب أن يُستقرئ؛ ومن ثمَّ تدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين المحيّر والمأمول.

ومع أنَّ الفكرة تخلّص من الحيرة، فإنّها لا تكون ارتقاءً إلّا من بعدها؛ فالحيرة بالنّسبة للفكرة تعدّ مخاض ولادة، وولادة الفكرة بدون حيرة تسبقها: هي ولادة قسرية؛ فلا يمكن أن يتطابق الزَّمن الافتراضي لولادتها مع زمن قسريتها، فتلد مشوّهة، وبالتّالي ستكون الحلول أو المعالجات أو الإصلاحات المترتّبة عليها منقوصة، أو منحرفة تجاه المخالف للمأمول ارتقاءً.

ومع أنَّ هذا الأمر يعدّ سالبًا بالنّسبة للفكرة ارتقاءً، فإنّه الأمر المحيّر والمستفزّ لعقول الآخرين إيجابًا، ممّا يحفّزهم ويدفعهم إلى الالتفات تجاه المحيّر، حتى تلد الحيرة فكرة، تخرج من التأزّم.

ومع أنَّ زمن الحيرة الفكريَّة مُقلق لمن ألمت به وألمّ بها، فإنّه المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاءً؛ ولذلك فالبحوث العلميَّة ارتقاءً تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّزّ على حيرة جديدة من بعدها حيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع؛ ولهذا وجب الاستقراء لكلِّ المتغيرات إذا أردنا تحليلًا موضوعيًّا، لكل نصل من بعده إلى نتائج موضوعيّة فيها تكمن الحلول ومنها تُستمدُّ.

ولهذا فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيّر حتى يقتنص له حلًّا، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشّيء استحالةً أو إعجازًا أو ممكننًا حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له حلًّا يحفّزه على العمل والنهوض.

ولا يعني ذلك أن تكون الحيرة غاية في ذاتها، بل الغاية من ورائها حلًّا، وهذا الأمر يتطلّب مقدرة على تحدّي المقلق بما يُقلقه، حتى يصبح القلق بولادة الفكرة في خبر كان؛ فأهل العلم والبحث العلمي لا يمكن أن يصلوا إلى غاية الارتقاء إلّا بعد الحيرة، ومن لا يقبل الجلوس مع الحيرة تحدٍّ؛ فلا إمكانية لأن يُكتب له التحدّي في ميادين العلم والمعرفة المصنّفة.

ولسائل أن يسأل:

هل الفكرة والحيرة ولدتا مع مولد آدم، أم أنّهما اللاحقتان عليه؟

بالنّسبة لآدم لم يكن مولودًا، بل مخلوقًا خلقًا مباشرًا بلا أب ولا أم، وكلّ ما وُجِدَ معه فهو المخلوق معه خلقًا، ولكن بنوه؛ فكلّ شيء فيهم خُلق سلالة من نطفة؛ فآدم خُلق في أحسن تقويم، وهذا يدلّ على أنّه معدّ للحياة لحظة خَلقه، أمّا بنوه من بعده؛ فحالهم حال الولادة والنّمو والتعلّم والتعليم، أي إنَّ حالهم حال من لا يستطيع أن يفكّر لحظة الولادة، ومع ذلك في دائرة الممكن ينجز أهدافه تعلمًا وتعليما.

فآدم كانت علاقته بالخالق والمخلوقًات من حوله علاقة فطرة مباشرة، ولكن المحيّر بالنّسبة لآدم هو حياته في كونين مختلفين على التّمام، كون الارتقاء (الجنّة) وكون الدّنيا (الأرض)، فهو بعد أن كسب الجولة خَلقًا، خسرها خُلقًا، وذلك بعد أن أهبط به بسبب المعصية التي ارتكبها، ومن هنا، بدأ يفكّر كيف يمكنه الارتقاء ثانيةً من الحياة الدّنيا إلى تلك الحياة العليا؟ وفي ذلك اليوم وُلدت الحيرة، أي وُلدت الحيرة إنذارًا بولادة الفكرة فكان الاستغفار والتوبة نتيجة الفكرة التي أخرجت آدم من حيرته إلى ما يُمكّنه من بلوغ الارتقاء إلى تلك الجنّة التي أهبط منها. وهي الحيرة ذاتها التي ألمت بابنه في لحظة قتله أخاه، الذي وقف قاصرًا عن المعرفة؛ حيث لا فكرة له عمّا جرى بيديه؛ فبعث الله غرابًا ليريه سلوكًا وعملًا يمكّنه من المعرفة بلا فكرة من عنده.

ولهذا فالفكرة ينتجها العقل، وتأخذها العقول، وتوظفها فيما يمكن أن يوظّف ويفيد.

وعليه:

لقد استلهم آدم الفكرة من أمورٍ منها:

الأمر الأوّل، من طبيعة الفطرة التي خُلق عليها واصطبغ بها وجوده في أحسن تقويم، ولكن لأنّه خُلق على التسيير والتخيير؛ فكان للتسيير الطبيعة الخَلقيَّة، وكان للتخيير فسحة الإرادة التي مكّنت آدم من الأكل من تلك الشّجرة المنهي الأكل منها؛ فخالف أمر النّهي معصية؛ بأسباب قصور معرفته أمام كمال الخالق وإحاطته؛ ذلك لأنّ آدم وبنيه لا يعلمون إلّا ما يُعلّم، ومن هنا كان الإنباء لآدم مصدر المعرفة ومكمن الفكرة ارتقاءً.

فالفطرة التي فُطرت المخلوقًات عليها هي التي جعلت لكلّ زوجين خصوصية، دفعتهما تجاه بعضهما، وهي ذاتها التي حالت بينهما وبين الأزواج الأخرى إلّا بما يفيد، فكانت حياة الفطرة ميسّرة لكلّ الأنواع تيسير جاذبية نوعيّة، وغريزية؛ ومع ذلك ظلّ الإنسان مهيأ لما هو أعظم فكان عقله مقلّدا لما يراه في دائرة الممكن تخييرا.

الأمر الثَّاني التقليد: وهو الذي لا يكون إلّا عن عقلّ، ولكن القصور على التقليد لا يمكّن من توليد الفكرة؛ ذلك لأنّه لم يمرّ بزمن الحيرة الممكّن من التعمّق في التفكير حتى كشف اللثام عن الحقيقة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فآدم تقليدا: قلّد إبليس؛ فأكل من المنهي عنه، وكذلك ابنه قلّد الغراب؛ فعرف كيف يواري سوءة أخيه، وهكذا هي الحياة تطوّرًا من الخَلق، إلى الفطرة، إلى التقليد، إلى توليد الفكرة، التي توليدها لا ينقطع

فكرة من بعد فكرة. ولكن يظل التقليد قاصرًا، والفكرة في حيّز العقل مهما عظمت؛ فهي لا تخرج عن دائرة الممكن؛ ولهذا بعث الله الأنبيَّاء والرّسل بالنبأ العظيم مبشّرين ومحرّضين ومنذرين وداعين للتفكير ارتقاءً وذلك بغاية إحداث النُّقلة لبني آدم من الضلال إلى الهداية والدِّراية.

الأمر الثَّالث، النبأ العظيم: مع أنَّ الإنسان خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه لم يُخلق على الكمال، ولهذا فتفكيره لا يمكن أن يخرج عن حيّز دائرة الممكن؛ فكان الإنباء بما يجب من الخالق إلى المخلوق يمكّن المخلوق من الوقوف على المعجِز، ومعرفة المستحيل مستحيلًا؛ فأنزلت الأحكام المنظمّة للعلاقات بأسباب الاختلاف والخلاف الذي حدث على الأرض الدّنيا، معصيةً واقتتالًا، ليفتح آفاق التفكير فيما يجب أن يؤخذ، وما يجب أن يُجتنب، وما يجب أن يُنتهى عنه.

الأمر الرَّابع، الفكرة: تعدّ الفكرة هي الأمر الممكّن من المعرفة والبحث في دائرة الممكن، وهذا لا يعني: أنّ الإنسان قبل ذلك لا يمتلك الفكرة، بل قبل ذلك كانت حياة الفطرة هي السّائدة، ثمّ حياة التقليد، ثمّ من بعدها حياة الإنباء الذي جاء تنزيلا على الأنبيَّاء والرُّسُل عليهم السّلام، بهدف تقييم الأخطاء، وتقويم السّلوك والعمل، الذي ولّد الفكرة، وولّد منها أفكارًا.

فالفكرة إنتاج العقل وإعماله، وهي بالنّسبة لمن تولّدت في عقله مثل البذرة، أو النّواة التي يراها المفكّر مخزّنة في محفظة ذاكرته وكأنّها الشّجرة متكاملة، جذورًا وجذعًا وأغصانًا وأوراقًا وثمارًا؛ فهو يراها على هيئة الصّورة

قبل أن تتجسّد في الشكّل والصّورة؛ ومن هنا يكون مولود الفكرة هو الإبداع الذي يُسهم في إضافة الجديد النّافع ارتقاءً وأملًا.

والفكرة في ذاتها مجرّدة، حيث لا هيئة لها إلّا في ذهن المفكّر الذي نضجت في عقله مثلما تنضج النّواة من تربتها شجرة متكاملة؛ ولذا فالهيئة تكون للصّورة التي أساسها فكرة، ومن ثمّ فالفكرة ترتبط بالمشاهد والملاحظ مثلما ترتبط بالمجرّد، والفكرة متى ما تكون نتاج تذكّرٍ، يكون التفكّر هو المهيأ لاصطيادها، أمّا التدبّر؛ فلا يكون إلّا نتاجها سلوكًا وعملًا.

والفكرة وإن كانت مجرّدة في الذّهن، فإنَّها على ارض الواقع تتجسّد في المشاهد والملاحظ، سواء أكانت معرفة قيم وفضائل ونظم وقوانين، أم أنَّها معرفة ملموسة مادّيًّا، ومن هنا كانت هيئة الخلق سابقة على صورته مخلوقًا، وهيئة المصنوع سابقة على وجوده مصنوعًا.

ومن ثمّ فالفكرة متلازمة مع التكاثر تكاثرًا، فمع أنَّها لم تكن مخلوقة، فإنّها تتخلّق في عقل الإنسان تدبّرًا من بعده تدبّر، وإنتاجًا من بعده إنتاج؛ فهي القوَّة الموجدة لما لم يوجد من قَبل، وهي وإن لم تتطابق مع خلق الشيء من لا شيء، فإنّها تتماثل معه من حيث إيجاد الشيء من الشيء نشوءًا؛ فالإنسان الذي خُلق نشوءًا زوجيًّا، كان وجوده وفقًا لقانون الفطرة والتقليد، ولكنّه من بعد ذلك إنباء استطاع أن يتبيّن مكامن الحقيقة، التي لفتته إلى نفسه ومَن حوله، فاستكشف علاقات قابلة لأن تتطوّر ارتقاءً، فاستفزّت

عقله يقظة زوّدته بالمعرفة الممكّنة من البناء والإعمار وتحدّي الصّعاب التي تواجهه كلّ يوم.

وكما أنّ الحيرة يقظة عقليَّة تستوجب مواجهة القلق بما يُقلقه؛ فكذلك الصّعب يعدّ معطية مثيرة للعقل ومستفّزة لملكاته، التي تتحفّز إلى المواجهة معه متى ما اعترض طريقها، ومن هنا، بدأت مواجهة العقل للصّعب تحدٍّ من ورائه تحدٍّ، وفي المقابل الصّعب يقدِّم التنازل من بعد التنازل.

فالصّعب ليس بالمستحيلٍ ولا المعجز، حتى يستحال تحدّيه، بل ميادين تحدي الصّعب هي فسيحة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا خوف من مواجهة الصّعب، بل الخوف ألا تحدث المواجهة معه؛ فالمواجهة العقليَّة معه كلّما حدثت عن تدبّر بفكرة، أنتج العقل فكرة أكثر ارتقاءً؛ ولذا ستظل الفكرة عقليَّة إلى حين استخراجها فيما يمكن أن يكون على الشكّل أو الصّورة، أو المفهوم والدّلالة والمعنى، والذي يتجسّد في العمل والسّلوك.

ومع أنَّ العقل مكمن الفكرة، فإنَّه أيضًا منبع الأمل، ومع أنّهما معًا من إعمال العقل وفي محفظته، فإنَّ الأمل يتعلّق بالغايات الخارجيَّة، التي في دائرة الممكن لا تُبلغ إلّا تخييرًا وإرادة؛ فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسؤوليَّة، ومن لا يمتلكها، فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف الارتقاء؛ ولذلك وراء كلّ غاية فكرة ووراء كلّ فكرة شيء جديد ينبغي استقرائه وتوظيفه فيما يفيد وينفع ويمكّن من التغيير إلى الأفضل والأجود.

ولهذا فالإنسان الأوّل الذي خُلق على الزّوجيَّة، عاش حياة الفطرة جنّة، إلى أن عصى ربّه؛ فأهبط به والأرض أرضا؛ فظلَّ من بعد الهبوط على أمل العودة إلى تلك الجنّة، وظلّ بنوه من بعده، يسعون ويعملون كلّ ما من شأنه أن يرتقي بهم إلى المأمول غاية؛ فتولّد التفكير في عقولهم، فكرة من بعدها فكرة؛ فأنتجوا الثّقافات، وبنوا الحضارات؛ ومع ذلك فهم يعلمون أنّهم كلّما أنتجوا فكرة واجهتهم صعاب تستوجب المزيد من إنتاج الفكرة؛ ولذلك فمن يقبل بتحدّي الصّعاب يهزمها صعوبة من بعد صعوبة ولا يأس ولا قنوط.

ولذلك فمرحلة الفكرة جعلت الإنسان على المعرفة الممكّنة من كشف العلاقة بين الخَلق والنّشوء والإعجاز والارتقاء، وفتحت أمامه آفاق البحث العلمي الممكّن من صناعة المستقبل وتجاوزه أمل.

ومع أنَّ الفكرة مولود العقل، فإنَّ مستفزّها خارجيَّة: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}[53]؛ ولذلك فالفكرة لا تستمدّ من العالم الخارجي كما كان يراها أرسطو، بل العالم الخارجي هو مصدر استفزازها؛ فيخرجها من الكمون إلى حيّز الوجود وكأنّها تُبعث من العدم.

[53] الغاشية 17 . 21.

فالفكرة في ذاتها هي مجرّدة، ولكن في مفهومها ومضمونها تحمل رسالة، أو مشروعا، أو رؤية، أو حلًّا يمكّن من فكّ التأزّمات وكسر القيود، والإقدام على ما يمكّن من الارتقاء؛ فالفكرة لم تكن خاطرة عابرة تأتي هكذا وتذهب وكأنّها لم تأت، بل الفكرة كما تستمدّ من السّابق، فهي تضيف الجديد، ثمّ تفتح آفاق الارتقاء مع المستقبل المأمول.

فالفكرة تمكّن من استخراج المجهول من المعلوم، أي: تستكشف المعلوم وتخرج المجهول منه؛ فيصبح معلوما وليس مخلوقًا؛ فالفكرة تستنبط وتستمدّ من المخلوق شيئًا لا ينقص من المخلوق شيئًا، وفي المقابل تزداد المعارف أشياءً مستكشفة.

والفكرة لم تلد في الخارج، بل الخارج يستفّز العقل ويُلفته إلى ما يُمكِن أن يُستكشف؛ فيبدأ العقل إعماله تجاه المستفزّ والحيرة تلازمه حتى يبلغه، وحينها لا تجد الحيرة مكانا لها عند المستكشف معرفة، أي: لا يمكن أن تبقى الحيرة مع التجلّي المعرفي، بل تبقى مع بقاء اللبس والغموض، وفي المقابل تزول بزوالهما.

والفكرة تعدّ صوغًا عقليًّا لمولودٍ لم يولد بعد؛ وهو بعد الولادة لن يكون فكرة، بل شيئا غيرها، ولكنَّه المؤسّس عليها؛ فلو لم تكن ما كان، ولهذا فالفكرة هي استنباط الشيء من الشيء، بعد تهيّئه على الشكّل أو الصّورة أو الرّسالة والموضوع، ممّا يجعل المستنبط في صورة موضوع عام؛ حيث لا تفصيل؛ فالتفصيل لا يكون إلّا للموضوع الذي تمدّدت الفكرة فيه بداية

ونهاية، والفكرة هي الفكرة، والموضوع ارتقاءً لا يكون إلّا المفسّر للفكرة إيضاحًا.

فبعد أن تطوّر الإنسان من حياة الفطرة والتقليد إلى حياة الإنباء والفكرة، أصبح يُبدع استكشافًا، وليس خَلقًا؛ ذلك لأنَّ المخلوق لا يَخلق، ولكنّه في دائرة الممكن يكتشف المخلوقَات، ثمّ يكتشف منها أسرارًا كانت مجهولة فيكتشفها بحثًا، وتأملًا، واستنباطًا، واستقراءً، ثمّ يوظّفها بما يعود عليه بالمنفعة، وهكذا هي الحياة والإنسان فيها يتطوّر بالفكرة، ومع ذلك لم يكن التفكير كلّه مؤسّسًا على استنباط الفكرة ارتقاءً، بل هناك من الفكرة ما يؤدّي إلى السُفليَّة والانحدار دونيَّةً.

ومع أنَّ الفكرة تلد في العقل البشري بداية بمستفزّات خارجية، فإنّها بعد أن تلد منه إنتاجًا، تصبح وفقًا للقدرة قابلة للانتقال من عقلٍ إلى عقلٍ مع وافر التأثير، سواءً أكان تأثيرًا موجبًا، أم سالبًا، وعندما تكون الفكرة بنائيَّة، تدفع المتلقِّين لها إلى الارتقاء، ولكن إن كانت هدّامة؛ فستدفع بمتلقيها إلى ارتكاب الأعمال الدُّونيَّة، ومع ذلك فالعيب لا يلاحق الفكرة، بل العيب يلاحق من كان من ورائها (من أوجدها)، الذي فكّر فيما يضرّ في الوقت الذي ينبغي أن يفكّر فيه فيما يفيد وينفع، وهنا تكمن العلّة، أي: تكمن العلّة في أصحاب الفكرة الهدّامة سواء الذين أنتجوها، أم أولئك الذين سوّقوا لها ووظّفوها.

ومع أنَّ الفكرة في دائرة الممكن (بنائيَّة أو هدميَّة)، فإنّها بين هذا وذاك يمكن أن تكون (إصلاحيّة)، وهذا يعني: أنَّ الفكرة البنّاءة تصحّح أخطاء الفكرة الهدَّامة متى ما كان الحوار والجدل بين النَّاس موضعيًّا، ولا إمكانيَّة أن تكون الغلبة للفكرة الهدّامة كلّما ساد الحوار والجدل منطقًا (حُجّة بحجّة)؛ ولذلك فالمعلومة الصّائبة تصحّح المعلومة الخاطئة كلّما طرأت؛ ذلك لأنَّ أثر الفكرة اليائسة يصحّح أو يعالج بالفكرة المملؤة أملًا؛ فالفكرة الأمل تحفّز على البقاء المرضي، وتدفع تجاه المستقبل الأكثر إرضاء، إمَّا الفكرة الهدَّامة فلا تزيد الطِّين إلَّا بِلَّة.

والفكرة كونها مجرّدة؛ فلا علاقة لها بالاقتناع من عدمه؛ فالاقتناع من عدمه مسؤوليَّة من ينتج الفكرة، أو يتبنّاها، أو يأخذ بها من صاحبها أو متبنيها؛ فالعقل السّليم في معظم الأحيان يأخذ بأحسن الفكرة، والعقل العليل في معظم الأحيان يأخذ بأسوئها، ومع ذلك فللفكرة الحسنة مسوّقون، وللفكرة السّيئة مسوّقون، ومتى كان المسوّق على مقدرة إقناعيَّة راجت فكرته حتى وإن كانت هدميَّة، وإذا لم تكن له مقدرة إقناعيّة انكمشت فكرته وإن كانت بنائيَّة، وهذه العلاقة هي بالتّمام علاقة بين من يسعى إلى الارتقاء، ومن يسعى للدّونيَّة والسُفليَّة، أي: فمن أراد ارتقاءً؛ فعليه أن يأخذ بفكرة الارتقاء نهضةً وتقدّمًا، أمّا من أراد سُفليَّة؛ فأفكارها في الأسواق الهدّامة كثيرة.

ولذلك تعدّ الفكرة ارتقاءً مصدرًا للرّؤية البنائيَّة، سواء أكانت رؤية فكريّة (تتعلّق بالنّظم والقوانين ورسم السياسات، وما يؤدّي إلى الإصلاح وبلوغ الحلّ) أم أنّها كانت عمليَّة، (تتعلّق بالاقتصاد والتجربة والبناء والإعمار)؛ فالفكرة سواء أكانت نظريَّة أم عمليَّة، تخلق جدلًا بين مُنظِّر، ومسوّق، ومؤيّد، ومعارض، وتابعين مختلفين.

وعليه:

فالفكرة حرّةٌ، لا تُسجن وإن سُجن أصحابها ومسوّقوها، إنّها مولود العقل الذي فكّر في إيجاد كيفيَّة تسمح له بالتمدّد داخل حدوده أو خارجها على حساب الغير، ثمّ من بعدها فكّر فيما يخالفها غاية؛ فأوجد كيفيَّة تكبح السّلوك وتقيّده متى ما تمدّد على حساب الغير؛ ذلك لأنَّ الفكرة من طبيعتها التمدّد بين العقول، كما تمدّدت ارتقاءً من النّظر إلى الخَلق، إلى البحث عمّا يُمكّن من معرفة الكيفيّة التي هو عليها، وذلك بغاية البحث ارتقاءً عمّا يمكّن من معرفة المشاهد (هو كما هو)، ويمكّن من معرفة المعجز (آية بعد آية)، ثمّ يمكّن من بلوغ معرفة المستحيل مستحيلًا، وهكذا هي الفكرة تتمدّد بين أيدينا ارتقاءً.

فنحن بني آدم عرفنا أنَّ الشّيء في أساس خلقه قد خُلق من غير موجود، وعرفنا أنّ بلوغ المستحيل مستحيل، وعرفنا نشوء الشيء من الشيء معجزة، وعرفنا أنّنا نعرف ما عرفنا ارتقاءً، ثمّ عرفنا أنّنا في حاجة لمعرفة المزيد والأمل لا يفارقنا.

ومن ثمّ فالفكرة لا تخلق الشّيء، ولكنّها تستكشفه، ولا علاقة لها بالخَلق؛ فالخَلق لم يكن من الفكرة، ولا من المفكّر. الخَلق من العلم، وبالأمر كن؛ ومن هنا فالخالق لا يفكّر، بل الخالق يعلم كلّ شيء؛ وفي المقابل الذي يفكّر هو الذي لا يعلم، ولهذا يفكّر ويبحث بغاية أن يعلم.

والفكرة كمفردة تتشعّب فكرًا، فتتمدّد في شؤون الموضوع الذي يحملها في ثناياه فروعًا؛ فهي مثل النّواة التي تغرس في التّربة والمناخ المناسبين لها؛ فتنمو شجرة ضاربة في الأرض وجذعها إلى السّماء فروع متفرّعة، أي: تتفرّع الفكرة الواحدة فكر متعدّدة التفاصيل حتى يكتمل الموضوع رسالة أو رؤية. بمعنى: تتعدّد الفِكَر المتفرّعة من الفكرة بما يمكّن من استيعاب الموضوع فِكَرًا مفصّلة.

وتعدّ الفكرة قاعدة التنظير، فلسفة وسياسة واقتصاد واجتماع، أمّا الدّين فلا تنظير فيه؛ فهو لا يكون إلّا من الخالق؛ ذلك لأنّ الدّين لم يبن على الفكرة، مع أنَّ الفِكَر الثّمينة لا تستمدّ إلّا منه، أي: كلّ شيء يؤسّس على الفِكَر، لا يكون إلّا من مفكّر، والدّين ليس كذلك، ولهذا فلا فكر ديني كما يعتقد البعض، بل الدّين لا يكون إلّا علم من عليم، ولهذا فهو لا يستند على الفكرة، بل يستند على المعجزة، التي تتنزّل نباء ورسالة تنسب لخالق، ولا تنسب لمفكِّر.

وتعدّ الفِكَر من إنتاج العقل؛ ويعدّ الفِكْر من إعماله، ولأنّ الفِكَر هي مجموع الفكرة؛ فهي على الكثرة التي في حاجة لأن تصنّف بين ما يؤدّي

إلى الارتقاء، وما يؤدّي إلى الانحدار؛ ذلك لأنَّ الإنسان سواء أكان هو مصدر الفكرة، أم متلقيها؛ فهو المخيّر قبولًا، أو رفضًا، أو حيادًا.

ولأنَّ الإنسان مخيّرٌ فيما هو ليس بمستحيلٍ؛ فهو يفكّر كما يشاء، دون أن يتجاوز الحقائق والشّواهد الدّالة على الوجود، سواء أكان وجودًا مستحيلًا، أم معجزًا أم ممكنًا؛ فالإنسان لا ينبغي أن يغفل عمّا يمكّنه من تطوير فِكْره، بغاية تنشيط إعمال فكره؛ ليكون عقله متهيأً ومتأهبًا للاستنباط من المجرد والمعجز، والاستقراء من المشاهد والملاحظ، وهذه من صفات العقل المتدبّر أمره. كما أنّه لا ينبغي أن يغفل عمّا يمكّنه من تطوير فِكَره (مجموع الفكرة) أي: لا ينبغي أن يتوقّف عند حدود إنتاج الفكرة، بل ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى ما يمكّنه من تطوير الفكرة بالفكرة حتى يبلغ تطوير ما بلغه من فِكَر؛ ولهذا فالفِكْر هو إعمال العقل، أمَّا الفِكَر: فهي إنتاج العقل، وكلاهما يقود المفكرين إلى ما يحقِّق أمل من ورائه آمال.

تدبُّرُ الفكرة يولد حلًّا:

الفكرة نتاج التدبُّر تيسر السير تجاه الحلّ، وعندما تكون حسنة تمكّن من بلوغه؛ ولذا فالفكرة لا تتولّد ذهنًا إلّا بعد استفزاز عقلي محيّر، يشد الانتباه إلى ذلك المستفزّ تمعّنًا حتى يصنّف في ملفات الذّاكرة بين مستحيل ومعجز وممكن؛ فإنْ صنّف مستحيل يسلّم به مستحيلًا، وإن كان معجزًا يتمّ الاعتراف به إيمانًا، وإن كان ممكنًا؛ فيكون خاضعًا للبحث والتقصي والقياس الدّقيق حتى يلد حلًّا بين متوقّع وغير متوقّع.

والفكرة كونها من إنتاج العقل، لا تستمدّ إلّا من واقع هو في حاجة لأن يُطوّر، أي: معظم الفِكَر هي نتاج استشعار معضلة تستوجب حلًّا، ومتى ما بلغ الإنسان الحلّ اكتشف معضلة أخرى تلفت عقله وتستثيره تفكيرًا بغاية بلوغ الحلّ؛ فيفكّر تدبّرًا حتى يقتنص لها حلًّا من خلال بحث يتّضح فيه أثر المتغيّرات المستقلّة والتابعة والمتداخلة في كلّ معضلة، ولهذا كلّما ازداد عدد المشاكل والمعضلات الحياتيَّة تولّدت الفِكَر، وهذا يعني: وجود علاقة واسعة بين تعدّد المعضلات الحياتيَّة، وعدد الفِكَر المتولّدة في عقل الإنسان تطوّرًا.

ومن ثمّ فإذا أراد من أراد حلًّا فعليه أنْ:

. يكون متيقظًا.

. مشاهدًا عن قصد لذلك المحيّر.

. ملاحظا لذلك المستفزّ.

. متقصٍّ للعلل التي تكمن من خلفها العلّة.

. أن يخضع المحيّر والمستفزّ إلى البحث العلمي.

. أن يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات ذات العلاقة.

. أن يحلل المعلومات.

. أن يستنتج ويستخلص النتائج وهناك يجد الحلّ كامنًا.

. أن يفسّر النتائج ليعرف أن لكلّ خاصّية خصوصيَّةً وحلًّا.

ومع أنَّه لا حلّ إلّا من فكرة تكشف الحقيقة وتظهرها وجودًا فإنَّ في بداية الخلق لم تكن الفكرة قد نضجت ذهنيًّا؛ ذلك لأنَّ الإنسان بداية لم يكن على الفكرة، بل كان على الفطرة والتقليد، ثمّ الإنباء، ولهذا تعدّ الفكرة لاحقة لِما سبق، والإنسان ليس بمولودها؛ فهو المخلوق الذي لا إرادة له في خلقه، ولا تخيير له في ثنائيَّة وجوده، بل التخيير جاء بأسباب الاختلاف الذي خُلق عليه جنسًا ونوعًا، ولهذا فالإنس غير الملائكة والجن، وكذلك الذّكر غير الأنثى، والرّجل غير بقية الرّجال، والأنثى غير بقية الإناث، وهكذا كان الاختلاف بين الأجناس والأنواع، ولكلّ بصمته التي تعطيه خصوصيَّة تجعله مختلفًا عن خصوصيَّات الغير.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن خُلق مخيّرًا؛ فهو يفكّر فيما يشاء كيفما يشاء ومتى يشاء، وهو يقبل ويرفض، ويخطئ ويصيب؛ وبإمكانه أن يتطوّر ارتقاءً، أو أن يتخلّف وينحدر دونيَّة، ولأنّه مخيّر؛ فله من المشيئة في دائرة الممكن ما له؛ فهو يؤمن ويكفر ويشرك كما يشاء؛ ذلك لأنَّ كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع هو بين يديه إرادة.

ومع أنَّ الإنسان مخيّرًا، فإنَّه لم يترك هكذا وكأنّه بلا قيود؛ فهو المعرّض للاختبار من قِبل من خَلقه في دائرة الممكن مخيّرًا. وأوّل اختبار آدمي هو ما فشل فيه آدم نفسه، وهو يوم أن أغواه الشّيطان وزوجه وزيّن لهما الأكل من تلك الشّجرة: {قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}[54]، أي: في ذلك اليوم كانت المواجهة بين العقل والشّهوة، فتغلّبت الشّهوة على العقل الذي لم يستدع قوّته في حينها؛ فارتكب آدم فعل المعصية، التي لا زالت ترتكب إلى يومنا هذا شهوة ورغبة وغفلة: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جميعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ}[55]؛ فهبط الأعداء على الأرض دونيّة، ولأنّهم الأعداء؛ فهل يمكن أن تكون حياتهم على المحبّة ولا شيء غيرها؟

أقول:

كلّ شيء في دائرة النّسبيَّة بين متوقّع وغير متوقّع، ولهذا فالقلب الواحد يحمل في سويدائه المتناقضات (حبّ وكره) ولكلّ مستفزّاته وعِلله، ولا استغراب أن تحدث المفاجآت في الزّمان والمكان غير المتوقّعين؛ فهذه من طبيعة خلق الإنسان الذي خُلق مسيرًا ومخيّرًا في ذات الوقت، ولأنّه كذلك فلا بدّ وأن يكون على التخيير بين متوقّع وغير متوقّع ولا استغراب.

ولأنَّ بني آدم مخيّرون؛ فقد اختار بعضهم المعصية كما اختارها أبوهم من قبلهم، غير أنّ أباهم استغفر لذنبه؛ فتاب الله عليه، ولكنّ بعض الأبناء لم يستغفرون عن ذنوبهم؛ فأضافوا إلى ما هم عليه من ذنوب ما أضافوا.

---

[54] طه 120، 121.

[55] طه 123.

ومن هنا كانت بداية الخلاف والصّراع والاقتتال بين بني آدم بما تثيره الشّهوة والرّغبة تحت مظلة الغفلة، ثمّ أخذ الخلاف والصّراع منحى دينيًّا بين من يأخذ بالنّبأ والرِّسالة، ومن يكفر بهما، وهكذا ظل العداء بين بني آدم وكأنّ العداء قد خُلق معهم على الفطرة والتقليد، وهكذا ظلّ القتل من بعد تلك الحادثة (قَتلُ ابن آدم لأخيه)، وكأنّ الأنبياء والرّسُل لم يبعثوا بعد.

وما يُلفت النّظر هنا، أنّ الذي قُتل من بني آدم هو من اتّقى ربّه هداية ومخافة، ممّا جعل البقاء لمن لم يتقيه بما عملت يداه، ومن هنا أصبحت كفّة المغالبة راجحة تجاه (من قتل أخاه ظلمًا)، ولهذا: {أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}[56]، ولكن لو كُتِبَ البقاء للذي اتّقى ربّه في نفسه وأخيه، لكان الأمر في دائرة المتوقّع غير ذلك، ومن ثمّ، اتسعت دائرة العصاة بقتل المسالم وبقاء الظالم، وظلت الفتنة على التكاثر مع تكاثر بني آدم إلى يومنا هذا، وحتى النّهاية. أي: لا يمكن أن يقف الاقتتال، والمفسدون والمخالفون والعصاة والمجرمون في الأرض هم الذين أهبط بهم والأرض أرضا.

ولهذا فالفساد في الأرض كَثُر بما عملته أيدي النَّاس، ومع ذلك لم يبق الفساد على حاله؛ فبعث الله نوحًا نبيًّا لينذر قومه الذين أفسدوا في الأرض: {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}[57]، ومع أنَّه لبث فيهم هذه السّنين، فإنَّ أكثرهم ظلوا ضالّين، إلى

---

[56] الأنعام 111.

[57] العنكبوت 14.

أن صدر حكم الله عليهم غرقًا، وهو غرق من لم يتّعظ ولا يعتبر ولا يهتدي للتي هي أحسن؛ فغرقت تلك البقعة من الأرض بمن عليها خلافًا، إلّا المؤمنين بما جاء به نوح من عند ربّه، كُتبت لهم النّجاة على ظهر سفينة النّجاة، التي حُمِلَ فيها من كلّ زوجين اثنين: {قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}[58].

إنّها بداية حقبة جديدة لنشوء مجتمع إنساني جديد، كلّه على الهداية والإيمان؛ فكان البقاء للحقّ، ولا وجود للباطل، ولكن يظل للتخيير والاختلاف والإرادة والرّغبة والشهّوة أدورا مؤثرة على الفعل والعمل والسّلوك البشري؛ ممّا يجعل بني آدم بين تطوّر وارتقاءً، وبين سُفلية ودونية، ومن ثمّ فإذا كان الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، لم يستطع البقاء على حُسن تقويمه اختيارا: {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى}[59]؛ فكيف بمن خُلق من نطفة من زوجين مختلفين؟

ولذلك حصلت الانتكاسة من بعد نوح والطّوفان؛ فأصبحت الكثرة على الضّلال والقلّة على الإيمان؛ فبعث الله إبراهيم ومن بعده الأنبيَّاء تترى، من أجل الهداية والإصلاح وبلوغ الحلّ فيما هم فيه مختلفون: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا

[58] هود 40.

[59] طه 121.

رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ}[60].

ومن هنا أصبحت الشرائع بين النَّاس تنظّم العلاقات الإنسانيَّة على الفضائل الخيّرة المستمدّة من الأديان، سواء أكان النَّاس مؤمنين، أم غير ذلك، وذلك وفقًا لقاعدة: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}[61]. أي: أصبحت الأديان هي المصدر الأوّل لتنظيم العلاقات بين الأمم والشّعوب، فهي قد لفتت النَّاس إلى آيات الخالق في كونه وفي المعجزات التي بعث بها رُسُله؛ فكان الجدل حجّة بحجّة، حتى وُلدت الفلسفة في عقول النَّاس بحثا عن الحقيقة المجرّدة. ولا شيء في دائرة الممكن يعيق العقل عن البحث والتقصي بما أنّ العقل قادر على الإعمال فكرا.

وعليه.

. فكّر في الكبائر كما تفكّر في الصّغائر تجد حلًّا.

. فكّر فيما تفكّر فيه قبل أن تجعل منه موضعًا أو مشكلةً وهو لم يكن كذلك محيّرًا.

. ميّز بين المشاكل العابرة وبين التي تقسم الظّهر حتى تستشعر الألم الذي من ورائه حلًّا.

---

[60] المؤمنون 44.

[61] البقرة 256.

. التفت إلى التّاريخ؛ فهو مليء بالعبر والمواعظ المملوءة بما يُلفت الانتباه إلى الحلول.

. لا تأخذ الحلول الجاهزة، بل عليك بالتمييز بين ما كان مهمّ في زمانه ومكانه وما هو غير مهم في الزّمان والمكان المختلف عنه بالتّمام.

. ثق أنّ لكلّ مشكلة حلًّا.

. إذا لم تستلهم أو تستقرأ أو تستنتج حلًّا في دائرة الممكن المتوقّع؛ فعليك بالتفكير في دائرة غير المتوقّع حتى تجد الحلّ هناك، ولكن إن تعسّرت عليك معرفته هناك أو تعسّر عليك اكتشافه بالرّغم من وجوده، ففكّر في إيجاد خارقة تمكّنك من اختراق المشكلة حلًّا[62].

التدبُّرُ في أثناءِ حيرة الفِكْر:

التدبُّر في أثناء حيرة الفِكْر هو انشغال ذهني فيما ينبغي أن يتم الانشغال به؛ ولكن لأنَّه التدبّر فلا تكون الحيرة إلَّا موجبة الدَّلالة؛ كونها تقود إلى الخروج مما فيه يُفكّر المتدبِّر؛ ومن هنا ينبغي أن يؤسّس التدبُّر على حُسن التفكير.

ولأنَّه التدبّر الذي لا يكون إلَّا في الوقت الحاضر فإنَّه لا يكون إلَّا حلقة رابطة بين تلك العبر والمواعظ وتلك المأمولات المنتظرة؛ ولهذا فالتدبّر

[62] عقيل حسين عقيل، التنمية البشريَّة (كيف تتحدّى الصعاب وتصنع مستقبلًا) مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م، ص 66 – 83.

يعد المركز الرَّابط بين الزَّمن الماضي وما فيه من حكم وتاريخ والزَّمن المستقبل وما فيه من رغبات ومطامح مأمولة.

ومن هنا تُعدّ الحيرة انشغال ذهني بحلقة مفقودة متى ما تمّ التعرّف عليها فكريًّا، تحلّت الرّؤية، بين ما يشاهد ويلاحظ، وبين تلك العلاقة المجهولة، أو بين المعطيات والأهداف المراد إنجازها، أو الأغراض المراد تحقيقها، أو الغايات المراد بلوغها، أو المأمولات المراد نيلها.

ولهذا فالسُّؤال كيف؟ دائمًا هو السُّؤال المحيّر للمتدبرين؛ والإجابة علية تُعدّ مرتكزًا فكريًّا يُمكِّن من تجاوز العقبات؛ ومن ثمَّ فالمعرفة تكسر حاجز الحيرة كما تكسر الجمود الفكري ساعة الإجابة على التساؤل: كيف؟ وأوّل محيّرٍ للفكر الإنساني المتدبِّر هو:

كيف خُلق الكون؟

مَن الذي خلقه؟

أين الخالق؟

ما هي قوانين الخَلق؟

ما هي صفات الخالق؟

إنَّ التساؤل عن الكيفيَّة التي خُلق الكون عليها تقود إلى معرفة خالقه، ومعرفة الخالق لا يمكن أن تتأتى إلّا بمعرفة صفاته؛ فالذين قالوا: إنَّ الكون

خالق نفسه، فقولهم يُقبل لو عدّدوا لنا صفات الكون الخالق نفسه، ولكن إن لم يجدوها (لم يجدوا له صفة)؛ فكيف لهم بالبقاء على ما يقولون؟

فالكون لا يمكن أن يكون كونًا للمتدبّرين، لو لم تسبقه صفة بقائه وجودًا، ومن يجيز غير ذلك، وكأنّه يودّ أن يقول: متى ما وجد المخلوق وجد الخالق، ولكنّهم إذا أجازوا ذلك عن وعي لأدركوا أنّهم قد فصلوا المخلوق عن الخالق، ومن هنا لن يصبح الكون إلّا على حالة واحدة: إمّا خالق، وإمّا مخلوقٍ، وفي كلا الحالتين؛ فإنْ كان خالقًا؛ فهو المسيِّر، وإن كان مخلوقًا؛ فهو المسيَّر، ولأنّ المخالفين هم من علماء الفيزياء؛ فهم متى ما فكّروا في صفات خالق نفسه عرفوا أنّه على غير صفة، وفي المقابل إنْ قالوا: له من الصّفات ما له؛ فعليهم بعدّها؛ فإن عدّوها، أحصوها، وإن أحصوها؛ فلا يمكن أن تكون صفات خالق؛ ذلك لأنّ صفات الخالق لا تعدّ ولا تحصى، وإلّا هل هناك من يعدّ نعمه؟

النّعم لا تحصى، وما من نعمة إلّا من صفة، ولأنّه ما من نعمة إلّا من صفة، والنّعم لا تحصى، إذن فكيف بإحصاء الصّفات التي لا تستمدّ النّعم إلّا منها؟

وعلينا أن نميّز بين أمرين: أن أكون على صفة، أو أن تكون لي صفة؛ فإن كنت على صفة؛ فأنا المجعول عليها جعلًا، وهنا فلا تطابق بين الصّفة والموصوف، ولكن إن تطابقت الصّفة مع الموصوف، كان الموصوف واحدًا وإن تعدّدت صفاته.

ووفقًا لهذه القاعدة المنطقيّة؛ فأين هي صفات الكون؟ وأين الكون من صفته؟

لا يمكن أن تكون الإجابة بلا لبس وغموض ما لم تحدّد صيغة السُّؤال: بأحد أمرين:

ما هو الكون؟ أم من هو الكون؟

فإذا قبلنا السّؤال الأوّل، قبلنا بأنَّ الكون شيء غير مدبِّر، وإلّا لماذا استخدمنا الأداة الاستفسارية (ما) التي لا تستخدم إلّا لغير المدبّر (غير العاقل)؟

أمّا إذا قبلنا السّؤال الثَّاني (من يكون الكون)؟ فإنّنا كمن يقول: الكون مدبِّر أو عاقل، في الوقت الذي نعترف فيه بغير ذلك. ولأنّه لم يكن مدبّرًا ولا عاقلًا؛ فلا يمكن أن تستخدم الأداة الاستفسارية (من) التي لا تستخدم استفسارًا إلّا عن المدبّر أو العاقل.

وبما أنَّ الكون مجعولٌ على الصّفة الحركيَّة (تمدّدًا وانكماشًا وسكونًا)؛ إذا فليس له من صفة إلّا ما جُعل عليها جعلًا، ولهذا فلا يمكن أن يكون الكون مصدرًا للصّفات. ولأنّه كذلك، إذن فمن ورائه خالق تتعدّد صفاته، وهو الواحد الذي لا يتعدّد.

وعليه: فالفرق كبير بين دلالة السُّؤالين:

من هو؟

وما هو؟

فمن هو؟ هو الخالق.

أمّا ما هو؟ فهو المخلوق.

ولذا فمصدر الصّفات المتعدّدة لا يتعدّد، ولهذا نقول: الصّفات سواء أكانت اسميَّة أم فعليَّة؛ هي المتطابقة مع اسم الذّات (الله): {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}[63].

ولأنَّ الخالق يُدعى؛ فهل هناك من يدعو الكون؟ وإذا دُعي؛ فهل من مستمع يجيب؟

بدون شكّ من لا يُسأل عنه بأداة الاستفهام (مَن) لا يمكن أن يكون مدبِّرًا (خَالقًا) ولا يمكن أن يُجيب؛ ولهذا فلا صفة خَلقيّة للكون إلّا التي خُلق عليها تمدّدًا وانكماشًا وسكونًا، أي: لا صفة له إلّا الحركة التي خُلق عليها تسييرًا إلى النّهاية.

هكذا هي الحيرة ترتبط بالشيء من محطّة فكريّة بغاية الدِّراية والتدبّر إلى محطّة أخرى؛ فهي قد ألمت أوّل ما ألمت بالإنسان الأوّل (آدم) عندما وجد نفسه في حيرة بين خيارات ثلاثة:

. أمر الله ونهيه.

---

[63] الإسراء 110.

- إغواء إبليس.

- وما اشتهته نفسه.

وهناك ظل على حيرته بلا تدبُّر حتى عصى ربّه، وهنا وُلدت من بعد الحيرة حيرة لم تلد حلًّا؛ فألمت به ثانية عندما اكشف أنّه أصبح في دونيَّة مخالفة لطبيعة خَلقه في أحسن تقويم؛ فظل في حيرته ولكن عن دراية حتى استجاب الله لاستغفاره وتاب الله عليه.

وهكذا هي الحيرة من بعده ظلّت تلاحق بنيه؛ فألمت بأحدهم ساعة قتله أخاه، ولم يعرف (كيف؟) يواري سوأته، حتى بعث الله غرابين؛ فتقاتلا، ثمّ دفن القاتل قتيله في حفرة قد حفرها لهذا الأمر، حينها عرف ابن آدم ما يخرجه من حيرته تدبُّر، مع أنَّ حيرة القتل ظلّت تلاحقه؛ حيث لا إمكانيَّة لإدارة العجلة إلى الخلف.

ومن ثمّ وجب التفكير فيما يُفكّر فيه بنو آدم تدبُّر قبل أن يقدِموا على الفعل والعمل والسّلوك، حتى يتجنّبوا الوقوع فيما يحيّر في لحظة المفاجأة، أو يؤلم، أو يؤزّم العلاقات؛ فتلك الأساطير في زمانها كانت وكانت الحيرة فيها، وفي المقابل جاءت الأنباءات والرّسالات لتزيح الحيرة، وتجيب على المجهول، ومع ذلك ظلت الحيرة في كلّ المجالس والمجادلات والمحاجّات التي لا ينفكّ غموضها إلّا بمعرفة الإجابة على السّؤال: (كيف؟) الذي سيظل محيّرًا حتى بلوغ المعرفة عن بيّنة.

فظلت الحيرة الفكرية تدبُّرًا تراود عقول النّاس من أجل بلوغ ما يفكّ أزماتهم، وينهي آلامهم، ويمكّنهم من الاختيار المشبع للحاجات المتطوّرة تنوّعًا، سواء أكانت حاجات فكريَّة، أم سياسيَّة، أم اقتصاديَّة، أم نفسيَّة، أم اجتماعيَّة، أم ذوقيَّة. ومع ذلك سيظل السُّؤال (كيف؟) يلاحقنا وهو في حاجة للإجابة وعن تدبُّر، أي: كيف تشبع الحاجات الفكريّة تدبّرًا؟ وكيف تشبع الحاجات السياسيَّة تدبُّرًا، وهكذا تدبُّرًا كيف تشبع الحاجات الاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والنفسيَّة، والذوقيَّة؟ وهنا يكون أمر الإجابة تدبُّرًا بين أيدي النّاس الذين يتعلّق الأمر بهم؛ حيث تقدير الخصوصيَّات، ووجوب الإرادة.

التدبُّرُ قوَّة تستوجب عدّة:

ولأنَّ التدبُّر دراية لا يكون إلَّا عن حُسن تفكير؛ لذا فهو القوّة القاهرة للفوضى والعشوائيَّة، ولأنَّ الأمر كذلك؛ فالأمر يستوجب إعداد العدَّة الممكِّنة من تجاوز الصِّعاب وكسر الوهم.

ومن ثمَّ فالعُدّة قوَّةً، والقوَّة هي مجموع ما يُعدّ لِما يناسبه من أفعال، سواء في حالة الحرب أم في حالة السِّلم، ولكلٍّ عُدّته، فعدّة السلم تتعدّد وتتنوّع؛ فما يلزم البناء ليس هو ما يلزم الطبيب، وما يلزم الحلّاق ليس هو ما يلزم المزارع وهكذا، أمَّا في حالة الحرب فالعُدّة تتنوّع وتتعدّد، وتُطوّر عبر الزَّمن تدبُّرًا، ولهذا فلكلِّ زمن عدّته التي تناسبه لحسم الصِّراع أو الحرب والقتال؛ ولهذا تعدّدت الأسلحة العسكريّة، وتنوّعت فكان حضورها في

المعارك يمنح صاحبها سمة نيل الاعتبار، وهذا يشير إلى أنَّ من يمتلكها يمتلك مقاليد أمره في حسم المعركة إذا ما أُقدت نيرانها من قِبل المفسدين في الأرض وسافكي الدِّماء فيها بغير حقّ، فيكون لمعدّ العُدّة تدبُّرًا، ومالك القوَّة الحاسمة للصدام والصراع الحصن الحصين واليد الطولى في كلّ الوقائع التي تحصل؛ ومن الأجدر بالمسلم أن يمتلكها تدبُّرًا؛ كي يرهب أعداءه وتمنحه ثقة بالنَّفس، فتفتح له آفاقًا جديدة في البحث عن زوايا جديدة يكون من خلالها الوصول إلى أعلى الدَّرجات في إثبات إرهاب الأعداء؛ ذلك أنَّ الحياة اليوم لا تكتفي بما هو موجود، بل إنَّ تفاعلها المعرفي مستمرٌ يبحث له دائمًا عن مستجدات جديدة يحقّق من خلالها مآربه التي يرتضيها تدبُّرًا، والإرهاب المراد لا يتحقّق من تعلُّق مستمر بما هو موجود، أو بما يكون ضمن دائرة الامتلاك الحاصلة، بل لا بدَّ من البحث عن أرضية جديدة يكون فيها أسباب الرَّهبة للأعداء؛ فطلب العلم بفروعه المختلفة يخلق حالة من البحث عن القوَّة التي يجب أن تكون؛ ولذا فالعالم اليوم يجري به تسابق في كلِّ لحظة؛ من أجل الوصول إلى أعلى درجات التطوّر في جميع المجالات؛ كي يخلق حالة من التفوّق تكسبه منعةً، وحصنًا في كلّ المجالات التي يبحث فيها تدبُّرًا علميًّا ومنطقيًّا وأخلاقيًّا.

إنَّ التقابل الحاصل في الحياة أو بعبارة أخرى: الضديَّة المتحقِّقة تملي على أصحابها حضورًا متنوعًا ليس من باب الاكتفاء، بل من باب التدبُّر والالتفاف على الطرف الآخر، ومحاولة معرفته جيدًا في كلّ الجوانب التي

تلتقي فيه نقاط قوَّته، هذه المحاولة يكون فيها إعادة إنتاج يكون من ورائه خلق كينونة ترهيبيَّة فعّالة تفوق المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فيكون للأمّة عُدّة جديدة بيّنة من خلال الوقوف على عُدّة الأعداء، وهذا الأمر يخلق إرهابًا للأعداء لم يكن بالحسبان؛ فتكون الآصرة الترابطية للشَّعب قويّة بقوَّة العُدّة التي يمتلكونها؛ ولهذا يكون الخرق ضئيلًا إن تحقّق؛ ذلك أنَّ مفاجأة الأعداء حين تتمّ الإغارة، وعند ردّ العدوان بعُدّة مغايرة لما يتوقّعونها تحصل بها القوَّة التي يجب أن تكون، وهنا يكون التفوّق من السُّلوك الصحيح في اتباع المناهج الضديَّة، فضلًا عن كلّ ما يتّفق مع التوجيه الإرهابي المنبعث من عقيدة راسخة لا تريد إلا إعلاء كلمة الحقّ.

عليه: تكون العدّة ركنًا مهمًّا في ترهيب الأعداء ومحاولة ثنيهم عن التفكير بما يسيء للشَّعوب أو أن يؤذيها؛ فالخلاص يكون من خلال الترهيب الذي يدور في أروقة الأعداء، فيكسبها ضمورًا حقيقيًّا يكون من ورائه التقوقع المراد؛ ذلك أنَّ التحديث المستمر وعن دراية وحُسن تدبُّر يمنح كلّ الأطراف تبعات متعدِّدة ومتنوّعة، فيكون التوقُّف أو الانزواء أرضيَّة للتقهقر والخروج من دائرة الترهيب التي يريدها الدين الإسلامي؛ ذلك أنَّ الإرهاب لا يمكن تحقُّقه دون فاعليّة مؤثّرة، فالعُدّة عند تحقُّقها تدبّر يكون الإرهاب سيد الموقف، حتى في خلق شروط لم تكن حاصلة قبل حصول الإرهاب، ممّا يجعل نعمته متحقِّقة وان لم تتحقّق فاعلية العُدّة فإنَّها تحقّقت وإن لم تستخدم، وهنا نرى أنَّ الإرهاب أدّى فعله الحقيقي، الذي يكون

دون الوصول إلى حالة ارتكاب المظالم التي تتحقّق في حالة استعماله، فيكون الكسب كبيرًا للأنا والآخر، للأنا: تحصل الحماية والمنعة والثبات، وللآخر: الموافقة مع تفهُّم وعن تفاهم، فالذي كان رافضًا لِما يُطرح عليه من أجل تحقيق الأمن للجميع أصبح اليوم يوافق على المطالب مع فائق الاعتبار للآخرين. وهنا تكون فاعليَّة الإرهاب المنشودة، فإيجابيَّة الإرهاب تكون متَّسعًا للبحث عن تصوُّرات جديدة تتكئ على الإرهاب وتتحقّق به، فالفاعليَّة المنشودة للإرهاب يجب أن تكون حاضرة في كلّ الخطوات التي يمكن أن تُتّخذ، وهنا تكون العُدّة قد أدّت دورها في الإرهاب ضمن صيرورة مستمرة تتقلب بين جوانب عِدَّة تبحث لها عن قوَّة بينيَّةٍ خارقة للمتحقّق.

والإرهاب الذي نعنيه هنا ليس ذلك التفخيخ وقتل الأبرياء، بل إنَّه يقتصر على إعداد العدَّة الكابحة للعدوان ورد المظالم؛ ومن هنا نقول: لا للتفخيخ، لا لقتل الأبرياء، لا لإرهاب النَّاس ظلمًا وعدوانًا، وفي المقابل نقول: يجب التدبُّر الممكِّن من إعداد العدَّة الراهبة لمن يحاول الاعتداء على الأمم والشّعوب.

والإرهاب لا يتحقّق إلا بإعداد المستطاع من العُدّة الممكِّنة من بلوغ القوَّة، وقد تعدَّدت وسائل القوَّة، واختلفت صورتها من جيل إلى جيل؛ ولهذا على الشّعوب أن تُعِدَّ العُدّة ما استطاعت لذلك من سبيل في كلّ عصرٍ من العصور التي تتطوّر عُدّتها وتتنوّع وتتعدّد.

ومن فوائد إعداد العُدّة تدبُّرًا أنّها المنبّه للآخر الذي كان غافلًا عمّا بلغه الأنا من إعداد عدّة وما تأهّبه من تأهُّب وما رابط عليه من وسيلة (خيلًا أم آلات وفقًا لظروف العصر، والتقدُّم العلمي والتقني)؛ فاستعداد الشعوب وتحصّنهم بالآلات والوسائل القتالية المناسبة لعصرهم، يلقي في قلوب الأعداء الذين لا نعلمهم، أو لا نعلم بعداوتهم الرُّعب الذي يجعلهم يلتفتون إلى كلِّ ما من شأنه أن يقيهم دمار ما أُعدّ من عدّة؛ فلا يكون هناك تكرار للعدوان في المستقبل؛ حيث لكلٍّ حِسابه: (إن عدتم عدنا، والبادي أظلم).

قال تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[64] في مفهوم هذه الآية الكريمة تكون دائرة الرَّهبة مكتملة على الأعداء، فيتحقّق بذلك الانتصار بسمة عريضة يكتنفها التصريح بقوَّة العُدّة، التي من شأنها أن تحقِّق ما لا يمكن تحقُّقه في أوقات أخرى.

وعليه: يعدُّ الإعداد جهدًا يبذل بعد تهيئة لأدائه تدبُّرًا ورغبة وإرادة، وهو المهيّأ للمادّة المراد إعدادها وتوافرها وعرضها منتظمة ومصنّفة وفقًا للنّوع والجنس والجودة والفاعليّة والعطاء المؤثّر إيجابيًّا على أرض الواقع؛ ولذا فالإعداد للملائمة المناسبة للمطلب والحاجة من أجل تحقيق الأهداف المرجوّة وبلوغ الغايات المأمولة.

[64] الأنفال 60.

أمَّا إعداد العُدّة فهو ما يُبذل من جهد فكري وعقلي وعن حُسن تدبُّر، من أجل العمل على توفير المال، والعتاد، والوسائل الممكِّنة من أداء الفعل وحصر البشر القادرين على تحمُّل الأعباء وفقًا للقدرة والاستطاعة، ثمّ تدريبهم وتعليمهم وتأهيلهم؛ لاستيعاب العُدّة المتنوّعة والمتجدّدة والمتطوّرة.

إذن: العُدّة هي تلك الوسائل المتطوّرة عبر الزَّمن؛ التي يُعتمد عليها ماديًّا في إدارة القتال أو الحرب، وهي التي تولّد في أنفُس الأعداء الرَّهب، وبها ينال التقدّم وتخاض المعارك ويتحقّق النصر وتحدث النَّهضة، وكلّما كانت عالية التقنية وعالية الجودة كانت فعّالة في الميدان، وذات أثرٍ بالغ الأهميَّة في الخصم وفي الإعمار والبناء والإصلاح؛ ولذا فكلّما أُعدت، وتمّ إظهارها استعراضًا أمام العدو أرهبته وحقّقت الهيبة لمالكيها ومستخدميها والمرابطين بها على جبهات المواجهة وحدود البلاد.

ولذا فالإعِداد ليس التهيئة، بل الإعداد سلوكي فعلي مادِّي، أمّا التهيُّؤ فليس بمادّي، والإعداد ترتيب متكامل لِما يجب إظهاره أو الإقدام عليه؛ فالإعداد يحتوي على الترتيب والتنظيم والتجهيز، قال تعالى: {فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ}[65].

[65] يوسف 70.

ولأنَّه إعدادٌ؛ فهو يحتوي على التنظيم والتدريب والتمرُّن على استخدامات العُدّة والتمرّس عليها بما يُمكّن المقاتلين في ميادين المعارك القتاليّة من حُسن الأداء مع النيل من الخصم وإجباره على الاستسلام أو التفاوض الذي يمكِّن كلّ صاحب حقّ من حقّه، ويعيد الحقوق المسلوبة لأصحابها بالقوَّة.

إذن: هناك تلازمٌ علائقيٌّ بين إعداد العُدّة عن تدبُّر، والتمرّن والتدريب عليها، ومن يغفل عن ذلك، سيفاجأ عندما تُكتب الحرب عليه بأنَّ العُدّة فاقدة للمقدرة على حسم الصِّراع؛ فالصِّراع والقتال لا تحسمه العُدّة وإن تطوّرت، بل يحسمه من يدير العُدّة بجدارة وتفوّق يُمكِّن من الفوز ويُحقِّق النصر ويُرهب الأعداء؛ ولذا فالتمرّن والمراس ضرورة لإدارة المعارك بتفنّن ومهارات عالية.

إنَّ درجة الاستعداد المترتّبة على حُسن التدبُّر والإرادة تقوى بقوّتهما وتضعف بضعفهما، فإنْ قويت حقّقت نصرًا، وإن ضعفت أدّت إلى هزيمةٍ على المستوى الفردي أو الجماعي، مع أنَّ نتائجها على المستوى الفردي والجماعي قد ترتبط بأمرٍ خاصٍّ، ولكن على المستوى المجتمعي نتائجها تكون من أجل الجميع، وبها تتحقّق الآمال، ويُصنع المستقبل المشترك، الذي به تصان حدود الوطن، وتُرسَّخ الهوية العامَّة للشُّعوب.

ولأنَّ الإرهاب مأمورٌ به من الله تعالى؛ لذا يُعدّ الإقدام عليه فعلًا مرضيًا لمن آمن وأسلم وجهه لله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّنْ قوَّة

وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ}[66].

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ) جاءت أمرًا من الله تعالى للعباد؛ ولذا فإنَّ إعداد العُدّة لمواجهة من يشكّلون خطرًا على الذين آمنوا غايتها تحقيق السَّلام، الذي به تطمئن الأنفس، وتصان البلاد، وأعراض العباد؛ فقوله: (وَأَعِدُّوا): أمرٌ مطلقٌ مع وجوب السُّرعة في الأخذ به وتنفيذه؛ ولذلك فإنَّ الأخذ به طاعة لله تعالى الذي أمر عباده بإعداد العُدَّة التي تُرهب الأعداء الذين يشكِّلون خطرًا على حياة النَّاس، وممتلكاتهم، وعلاقاتهم، وفضائلهم الخيّرة، وقيمهم الحميدة اجتماعيًّا وإنسانيًّا.

وقوله: (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي: يجب أن يُعدّ ما يُمكن أن يُعدَّ من عُدّة وفق الاستطاعة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ ولهذا يجب التدبُّر والعمل بكلِّ جهد وبكلِّ الوسائل الممكِّنة من امتلاك القوَّة، وتوافرها، والتدرُّب عليها، والمران من أجل إدارتها؛ حتى تتيسّر استخدامًا إذا ما كُتبت الحرب أو أوقدت نار الاقتتال.

ومع أنَّ الاستطاعة محدودة فإنَّ ورودها في هذه الآية الكريمة جاء وكأنَّها بلا حدود (مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي: إلى النهاية التي لا تنتهي بعصرٍ من العصور، بل النهاية التي تتجدّد في كلِّ عصر إلى النهاية.

---

[66] الأنفال 60.

وقوله: (مِنْ قوَّة) مع أنَّ (مِن) بعضيّة فإنَّ ورودها هنا جاء للتنوُّع أي: تنوّع القوَّة الواجب تنوّعها، وإعدادها لإرهاب العدو؛ ولهذا جاءت الاستطاعة غير محدّدة، وكذلك القوَّة غير محدّدة (وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قوَّة) أي: أيَّة قوَّة.

وعليه: فإنَّ تنوُّع الصِّناعات الحربيّة، وتطوّرها، وتحسين جودتها، والتدريب عليها ضرورة؛ لإرهاب الذين يُخِيفون العباد تهديدًا ووعيدًا وظلمًا وعدوانًا.

إنَّ معظم شعوب العالم الضعيف، تمَّ احتلال أراضيهم، وتمَّ تقتيل وتهجير الملايين منهم بغير حقّ، ومع ذلك استشهد أكثرهم في سبيل الحريَّة وتحرير الأوطان، فهؤلاء الذين عانوا ويلات العذاب أنفسهم ممتلئة خوفًا ورعبًا من أولئك الذين سبق لهم أن احتلوا بلدانهم وقتّلوا من قتلوا من أجدادهم وآبائهم، وشرَّدوا من شرّدوا من إخوتهم، وهتكوا أعراضهم، وشوهوا ثقافاتهم، ودنسوا معتقداتهم؛ فكيف لهم أن لا يعدُّوا العدّة التي تحميهم من تكرار الاحتلال والاقتتال والاستعمار مرّة ثالثة ورابعة وخامسة وإلى النِّهاية!

لذا فالعالم الإسلامي هو أكثر من دفع الثَّمن، ولا زال معرّضًا لأن يدفع الثَّمن أضعافًا مضاعفةً؛ فما يجري اليوم في أفغانستان والعراق والصومال ألم يجرِ من قبل احتلالًا ورعبًا وتدميرًا وتقتيلًا؟ وها هو اليوم يتكرّر؛ لذا لا يمكن أن يقف احتلال الأوطان، واستعمار الأمم والشّعوب

ما لم تمتلك الأمم والشّعوب أدوات القوَّة المتنوِّعة والمتطوِّرة، التي بها تتمكّن من أنْ تُرهب من كان سببًا في تخويفها، وتجويعها، واحتلال بلادها.

وقوله: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) جاءت: (رباط الخيل) وكأنَّها لم تكن من ضمن القوَّة التي نزلت في قوله: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة)، في هذا الأمر نقول:

الله تعالى لم يقل: (ومن الخيل).

بل قال:

(وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ).

ولذا فالخيل في حدِّ ذاتها قوَّة من مجموع القوى المتعدِّدة، التي يحتويها قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قوَّة).

أمّا الرباط؛ فهو الذي به يطوّق من يُرادُ قيده أو محاصرته، ولأنَّ الخيل لوحدها لا تستطيع أداء هذه المهمة؛ فنسب الأمر لمن يستطيع أن يفعل ذلك، وهم الفرسان الذين يمتطون الخيل، وهم معدّون، ومستعدّون لخوض المعركة إن كُتبت عليهم كرهًا.

وعليه: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) هذه كلمات ثلاث مسبوقة بحرف عطف (و) الذي به مُيِّزَ الرِّباط عن القوَّة، أي إنَّ الرِّباط هو الذي لا يتمّ إلا عن حُسن تدبّر بخطة وقرار وكيفية مناسبة، بها يتمّ استعراض القوَّة المحمولة على ظهور الفرسان، الذين هم مرابطون على ظهور الخيل المرابط بها على الحدود،

وهؤلاء الفرسان هم: (المعدّون، والمدرَّبون، والمتأهبون للإقدام متى ما صدر أمر التقدّم إليهم).

وعليه: (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) لا تعني كل القوَّة، بل تدل على القوَّة المعدَّة والمستعدّة للاستخدام، وهي الأمر الواقع أمام المشاهدة العينيَّة والملاحظة العقليَّة والمعرفيّة، التي بها يُدرك ويُميّز ما يُرهِب عمّا لا يُرهِب.

ولذا فإنَّ إعداد العُدّة المستطاعة يجب أن لا يفهم منه بشكل خاطئ أو منحرف دعوة إلى رفع العتب، وإبعاد اللوم، كما فُهم الإرهاب من بعض النَّاس على أنّه الاعتداء؛ لنشر الخوف والرّعب دون النظر إلى حقيقة مفهوم الإرهاب، فيسوق حجّة أخرى بفهم خاطئ أيضًا، كمن فهم قوله تعالى: {لَا يُكلَّفُ الله نفسًا إلَّا وُسعها}[67] على أنّها دعوة للاستكانة والتواكل، فالله تعالى دعا إلى التوكّل ولم يدعُ إلى التواكل، وعلى هذا يجب أن يَسَع النَّفس ما وسع الأنفس الأخرى في بذل أقصى طاقة في إعداد العدّة المستطاعة باستنفاذ الجهود والطرق والوسائل والأدوات، ومن هنا يكون إعداد العدّة لمنع العدوان بما تحقق العدّة والاستعداد من إرهاب، والذي يأخذ بالأسباب فقد وصل إلى الاستطاعة، فإن لم يستطع أن يعدّ العدة الكاملة التي توازي الآخر بعد الأخذ بجميع الأسباب، فقد أدرك رفع التكليف بما يبذل من جهد دخل ضمن الاستطاعة، التي تتكفلها النَّفس،

[67] البقرة 286.

وإن كانت هذه العدّة الإرهابيَّة بما يرضي طموح الاستعداد، فهي من أجل دفع العدوان ومنعه، لا من أجل المبادأة والمبادرة بالعدوان.

وعليه نتساءل:

هل العدّة هي التي ترهب أم الإعداد؟

إنَّ العُدَّةَ تُعدُّ من قبل الإنسان، وإن كانت العدّة والإعداد يجب أن يكونا متلازمين؛ ليصل المجتمع إلى المرحلة الإرهابيَّة، فإنَّ العُدَّةَ وإن توافرت فإنّها تبقى في حيّز الموجودات الماديَّة؛ ذلك أنّ العدّة ماديَّة بأي شكل كان، فلو كان هناك أكداس من الحديد بشكله المعروف كمادة أوَّلية، فإنّها لا تدخل الرَّهبة على أحدٍ مهما تعاظمت، كمن يمتلك أموالا طائلة يلهو بها في صالات القمار، فمن أين تأتي الرَّهبة لهذا المال!

ولذا فإنّ إعداد الحديد والمال والمياه والأرض والإنسان هو الذي يمنحه الجانب الإرهابي؛ وذلك عندما تحوّل المادَّة بإعدادها إلى استخداماتها بقرار عقلي نابع عن فكر، لا نقصد الأسلحة فقط، وإن كانت جزءًا من الصِّناعة والزِّراعة والتنمية والخدمات التي لا تصل إلى مقاصدها الإرهابيَّة إلَّا عن طريق التعليم والتدريب والتنظيم والتأهيل؛ ولذا (فأعدّوا) تبدأ من التهيؤ، مرورًا بالإعداد والاستعداد والتأهب، وكلّ ذلك مرتبط بالإنسان الذي ليس له غنى عن العدّة المحققة للغاية تدبّرًا.

والإعداد لا يكون إلاّ بما يبذل من جهود يُحقِّق أهدافًا فكريَّة وعقليَّة ونفسيَّة ومعرفيَّة وتنظيميَّة تجسّد قوله تعالى: (وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوَّة).

فالأخذ بهذه المعطيات الإعداديَّة وتجسيدها إنسانيًّا، في الارتقاء بالإنسان إلى هذا المستوى، يجعله على قدر المسؤوليَّة، وبذلك يقضي الإعداد على الوهن والضعف والتخاذل، ممّا يفضي إلى رفع الهمم والارتقاء بالنَّفس، وبذلك تنزاح عن النَّفس المذلة والهزيمة والخنوع، وتتجاوز الأسف والندم الذي يستحكم فيها؛ فالذي كان يحيلها إلى نفوس هامدة تتحوّل بالإعداد إلى قدرة قابلة على مواجهة التحدّيات، ولا نقصد بالمواجهة ساحة القتال أو الحرب، وإنّما مواجهة الواقع بما يحمل من مفاجآت حربيَّة وسلميَّة واقتصاديَّة وسياسيَّة واجتماعيَّة؛ حيث أنّ تمكّن الإيمان بالإعداد يقينًا يخلق إنسانًا له القدرة على التصرّف حيال الأحداث؛ ليصل إلى درجة: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ}[68] التي تعزّز الثِّقة بالنَّفس؛ فتأخذ بأسباب التغيير تدبُّرًا، التي تنعكس على الواقع بمعطيات إرهابيَّة، تثبت حقّ الأنا أمام الآخر، وتعترف للآخر بحقوقه.

فالإعداد على مستوى الذَّات الإنسانيَّة بهذه الجوانب، يدفع إلى الصحوة من غفلة الانكفاء على الذَّات، والانفتاح على الآخر بما لا يمسّ الأصول والثوابت، ضمن المنطلقات الإرهابيَّة المشروعة في التأهّب لمواجهة

[68] آل عمران 139.

العدوان حال وقوعه بكلّ قوّة متاحة؛ ذلك أنّ الإعداد والعدَّة لمواجهة الأخطار المحتملة يتمّ به استيعاب الواقع والمحيط الخارجي، ثمّ الصحوة والانتباه إلى أنّ أقوياء العالم، الذين سيطر الظُّلم عليهم لا يرحمون الضعفاء، وأنّ المراهنة على جمعيات حقوق الإنسان والهيئات الدوليَّة مجازفةٌ، لا تُمكّن من بلوغ الحلّ.

إذن: الإعداد عن حُسن تدبُّر يعدُّ دعوة أخلاقيَّة في تحقيق الإنصاف الذي يؤمّن التوازن بين الأفراد أو المجتمعات، ومن ثَمّ يكون الإعداد في هذه الجوانب دافعًا للصَّحوة التي تحقّق المفاجأة في دائرة الممكن غير المتوقَّع؛ ولذا فإنَّ: (أعدّوا) تشمل الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ولما كانت العدّة من الأشياء الماديَّة؛ فنادرًا ما تحقّق المفاجآت؛ لأنَّها ضمن مجال الإحصاء والعَدّ؛ لأنَّها أشياء حسيّة، ومدركات ماديَّة يمكن لأيّ أحدٍ أن يقف عليها من خلال المعلومات، سواء أكانت هذه المعلومات عن طريق رصد الاستيراد والتصدير والتنمية والخدمات، أم أنّها معلومات يتمّ الحصول عليها بطرق متعدّدة سواءً أكانت مشروعة أم أنّها غير مشروعة.

وعن طريق هذه المعلومات يمكن إحصاء العدّة الماديَّة المعدّة، والتعامل معها بأساليب تؤدّي إلى إبطال مفعولها، أو منع مفاجآتها. أمَّا الجانب الآخر من: (أعدّوا) الذي يتّسع مجاله في الجانب العقلي ليشمل التدبّر من الفكر والمهارة والتدريب والتخطيط وأعداد العدة والاستعداد والتهيؤ والتأهُّب، ولهذا فالتدبُّر يخرج عن الحيّز المادي، ويكمن بين العقل والشعور

وردّة الفعل، الأمر الذي يجعله ممكنًا غير متوقّع بما يحقّق من مفاجآت، وهذا الجانب من الصّعب إحصاؤه، أو الوقوف على حيثياته الكامنة في الفكر، بحيث لا تظهر نتائجه إلَّا بعد تحقيق المفاجأة، وهو أعلى أنواع الإعداد.

ولذا فحسن التدبُّر يمكّن من الإعداد الجيد على المستوى الفكري والنَّفسي ويحقّق مفاجأة العدّة المعدّة، ومن جانب آخر إذا كانت العدّة شموليَّة لا تقتصر على السِّلاح ورباط الخيل، وأخذت البعد الحقيقي للاستطاعة (ما استطعتم) ليس بمعنى التكليف التواكلي، وإنّما التكليف التوكّلي، فسيدخل في الاستطاعة الخزين الاستراتيجي من الطعام والشراب والسّلاح ومقوّمات الاستمرار ليس على المواجهة فحسب، وإنَّما الاستمرار على إدامة الزَّخم في التحكّم بدورة عجلة الحياة ضمن الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ لأنَّ الماء والغذاء من أهم مكونات الاستطاعة ويتبع ذلك اللباس والمسكن والخدمات ووسائل الاتصال، والمواقع البديلة، والتمويه، وحفر الخنادق والأنفاق، مع استخدام وسائل التقنية المتطوّرة عبر الزّمن؛ كي يصبح من السهل تحقيق المفاجأة، وبالتَّالي التمكّن من انجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولات.

فهذا الإعداد هو مرهب للعدو، ولا يعني الاعتداء عليه بحال من الأحوال، بل يجعله في موضع حدوده، التي لا يستطيع معها أن يقوم بالاعتداء، أو يمارس العدوان؛ فامتلاك العدّة بالإعداد ومن ضمنها السِّلاح والعتاد الحربي توهن الخصم قبل أن ينفِّذ اعتداءه، وتدعوه لإعادة حساباته،

وتكبح جماحه؛ فيكون هذا النّوع من الإرهاب داعيًا إلى السلم ومانعًا للقتل والتدمير، والدَّعوة إلى إعداد العدّة التي وردت إرهابًا للعدو في مواضع كثيرة من الذكر الحكيم؛ فهي تختصّ بمنع حدوث العدوان، وهي ضرورة تقتضيها الحياة؛ لاختلاف الأديان، والقيم، والأعراف، والمعتقدات، وكذلك اختلاف البيئة والجغرافيا والموارد الطبيعيَّة والتفاوت بين الغنى والفقر، ونقص الحاجات والسَّعي إلى إشباعها، كلّ ذلك يؤدّي إلى نشوء صراعات تدفع بعض المقتدرين إلى مباشرة العدوان؛ ليستولوا على ما ليس لهم به حقّ؛ ولذا يجب أن لا يختلف اثنان على حُسن التدبُّر ومشروعيَّة العدّة والإعداد إرهابًا لا عدوانًا؛ ولذا فإنَّ ذلك هو موضع اتفاق لجميع البشر؛ فمن حقّ كلّ أمَّة أن تمتلك القوَّة؛ لتدفع عن نفسها الخطر إن هي تعرضت للخطر أو التهديد؛ ولذلك فالدِّفاع عن النَّفس يقتضي إعداد العدّة.

وهنا يتّضح الإرهاب بمفهومه الرَّدعي، وأنّه لا علاقة له بالعدوان إلا من خلال منع وقوعه.

أمَّا تفسير ما يحصل الآن في العالم من تفجير وترويع للآمنين وسفك للدّماء باسم الإسلام، أو ما يُرمى به، ومن ثمّ وصفه بالإرهاب؛ فهو تصرُّف إمَّا صادر عن إنسان أساء فهم الإسلام ونصوصه ممّا ينبئ عن وجهة نظر قاصرة وفكر ضحل، وإمّا أنّه يكون نتاجًا لفكر يتستَّر بالإسلام، وإمَّا بدفعٍ من جهات لها مصلحة في هذه الأعمال والتصرّفات؛ ولذا وجب التمييز

بين المنهج وأخطاء المنتسبين إليه، وبين المنهج والممارسات التي تقع باسمه، فهذا ليس من الإعداد في شيء.

وعليه: فإنّ إعداد العُدّة لا يكون إلّا لإرهاب العدو، ومنعه من العدوان، ويشمل ذلك استثمار الأرض وزراعتها، وتقديم الخدمات، والنهوض بالصناعة، لا أن تمدّ الأيدي للآخرين وإن كان استيرادًا بمقابلٍ سابق الدفع؛ ليأكلوا من إنتاجهم ويلبسوا من مصانعهم، ويتطفّلوا على موائدهم، على الرُّغم من وجود القوَّة الماديَّة، والأرض المهيأة، والعقل المستقبل للفكرة التي تتبنى الإعداد وتنهض به، بحيث تُمكِّنُ الأفراد من أن يكونوا قادة بدلًا من كونهم عالة، وأن يكونوا صنّاعًا للحضارة وليسوا قرّاءً عنها، ومادام أنّ الأمر كان ممكنًا لغيرك؛ فبالضرورة لن يكون مستحيلًا عليك؛ ذلك أنّ الذين يرون استحالة اللحاق بقافلة الحضارة؛ لحجم المشقة، وبُعد المسافة، وعمق الفجوة، قد تركوا إعداد العدّة وغفلوا عن أهميَّتها[69].

حُسن التدبُّر يمكِّن من إنجاز الأهداف:

حُسنُ التدبُّر يعني مما يعنيه لا يعدّ التدبُّر غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه أهداف تُنجز، وغايات تُبلغ، ومأمولات تُستوجب النيل؛ ولذا فمن يمتلك زمام أمره إرادةً يستطيع في دائرة الممكن أن يعمل ما يشاء بحريّة لا تكون على حساب حريّة الآخرين، وبالتالي: فممتلكي الإرادة أحرار.

---

[69] عقيل حسين عقيل، القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019، 13 – 27.

ومن ثمَّ فبالإرادة الحرَّة يتيسَّر إنجاز الأهداف؛ كونها أولويَّات معرفيَّة لا تكون إلّا عن حُسن تدبُّر فيه وضوح الرؤية، أو الخطة، أو الاستراتيجيّة، أو جميعها مشتملة تدبُّرًا؛ وذلك لأنَّ المقاصد من ورائها كمن، سواء أكانت مقاصد شخصيَّة، أم وطنيَّة، أم إنسانيَّة، وهي: قابلة للتحديد والإنجاز حسب الجهد، والإمكانات المتاحة.

إنَّها المدى الممتد من الرّغبة إلى المأمول، ولا تحدّد السياسات، والاتجاهات العلميَّة والفكريَّة إلّا بها، ولا يتم الإنجاز المصنّف القابل للقياس إلّا بوضوح رؤية من حدّدها تدبُّرًا.

والأهداف هي ذلك المرجو إنجازًا سواء أكان الإنجاز بحثًا علميًّا، أم عملًا، أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانات من قبل الذين يتدبُّرون وهم يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا، أو معرفة، أو بناء وإعمارًا، وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه؛ ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيًّا، والهادمين له انحدارًا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ، ومأمولات يتمّ نيلها، وفي هذا الشأن الأمر لا يزيد عن كونه أملًا، وسيظل أملًا؛ لأنَّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين في خصوصياتنا، وفي آمالنا، وإن اتفقنا في

بعض منها: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِيْنَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[70].

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف، الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزُّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة تحدّيًا وعدلًا وارتقاءً.

فمن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاءً، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص ما زالت سانحة؛ فالنّدم يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر وأحسن تدبَّر أمره، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافًا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

[70] هود 118، 119.

وعليه:

إنَّ تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعيَّة، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهمية الموضوع، أو القضية التي هم يعملون أو يضحّون من أجلها؛ ولهذا:

. حدّد أهدافك قبل أن تبحث أو تعمل.

. وضّح أهدافك للغير إذا كانوا على علاقة بها.

. فكّ اللبس أو الغموض عن كلّ مفهوم من مفاهيم أهدافك.

. ثق أنَّ الأهداف تنجز؛ فلا تتأخّر عن العمل على إنجازها.

. تحديد الأهداف يدلّ على وضوح الرّؤية.

. غموض الأهداف لا يؤدّي إلى تحقيق نتائج.

. تحديد الأهداف يمكّن من التدبّر.

. إنجاز الأهداف يتطلّب جهدا يبذل برغبة.

. إنجاز الأهداف يتطلّب صبرا وعزيمة.

. إنجاز الأهداف يستدعي وعيًا بأهميّتها.

. إنجاز الأهداف العظيمة يستوجب قبول تحدٍّ وتحدّيه.

ولهذا وجب التدبّر الذي تُرسم سياساته وفقًا لأهداف واضحة؛ وذلك بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم ويتدبّرون أمورهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي للعاطفة أن تجرّ أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرًا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم، وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛ فيخلّصهم من التسوّل إرادةً وعملًا، وكذلك لا ينبغي لبني آدم أن يضعوا أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة، وإنجاز الأهداف، فرجًالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة؛ ولهذا لا يمكن أن تبلغ الغايات العظام بلا أهداف، والأغراض من ورائها حافز ودافع.

والأهداف ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنةً وعلمًا ومعرفةً وإنتاجًا وحرفةً؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيَّات على أيّ مستوى من المستويات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة وأيّ مستوى من

المستويات السياسيَّة والاقتصاديَّة والمعرفيَّة ما لم تحدّد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائمًا عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه فلن يستطيع أن ينجز شيئًا يمكن أن يكون على الأهميَّة المرجوة.

وعليه:

. الأهداف ليست أمنيات كُسالى، بل هي التي تحمل في أحشائها الموضوع، أو المشكل برمّته.

. الأهداف لا تحدّد بدقّة إلّا من قِبل الجادّين.

. الأهداف تنجز أوَّلًا بأولٍ.

. الأهداف تهدي الباحثين وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الأهداف لا تحدّد إلّا من قبل القادرين على إنجازها.

. يعد تحديد الأهداف كسرًا لما كان يظن أنَّه صعبٌ لا يكسر.

. ويعد إنجاز أوّل الأهداف أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. الأهداف العظيمة تؤسّس وُضحًا إنّها قابلة للإنجاز.

ولهذا فتحديد الأهداف لم يكن غاية في ذاته، ولكنّه ضرورة لطي الهوة بين من كانت لهم أهداف والمستهدف منها؛ ولهذا فالأهداف ترتّب أوَّلًا بأوّل؛ ذلك لأنّ إنجازها متتالٍ ومتلاحق، وهي بعد الإنجاز تفتح آفاقا جديدة لصوغ أهداف جديدة لا تتولّد إلّا من بعد الإنجاز السابق للأهداف السّابقة عليها.

ومع أنَّ البداية تعد نقطة الصّعوبة، فإنَّها في النّهاية لا تعد نقطة الاستحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليَّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ، والمأمولات تُنال.

ولأجل ذلك ينبغي لنا أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها تدبُّرًا، وتحديد الأغراض وتحقيقها، وتحديد الغايات وبلوغها، وتحديد المأمولات ونيلها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوَّلًا بأوّل وهذا لا يكون إلَّا عن حُسن تدبُّر، وهي في دائرة الممكن المتوقّع عندما تكون متطوّرة ومتجدّدة لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي لنا تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنَّها أهدافٌ تنجز وعن تدبُّر؛ فلا تكون ذات أهميَّة إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة؛ ولهذا لا ينبغي للأهداف أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة تحديد الأهداف مؤسّسة على الإنجاز، وإلّا لا داعي لتحديدها، أي: كلّما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهمية، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن ورائها مأمولا عظيمًا.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية؛ وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا: يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات، وتنوّع مشبعاتها، ولهذا؛ فالأهداف ارتقاء: ينبغي أن يكون من ورائها غرضٌ، تكمن من ورائه غاية ومن ورائها مأمولٌ.

ومن ثمّ ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة؛ ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. لا ترسم السياسات إلّا على أهداف واضحة ومحدّدةٍ وعن حُسن تدبُّر.

. إنّ تحديد الأهداف ليس غاية في ذاته، بل الغاية إيجاد المنجز.

. من يحدّد أهدافه غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. إنجاز الأهداف يولّد أهدافًا جديدة في عقول الجادّين.

.كلّ هدف ينجز من ورائه غرض.

.كلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية.

.كلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمولا يتمّ نيله.

.كلّما أشبع نيل المأمول حاجة، فتح آفاقًا جديدة أمام مأمولات أكثر نفعًا.

. الأهداف تدبُّرًا تحدّد وفقًا لمتغيرات محدّدة، ولكن لا تقفل على ذلك؛ فهناك من الأهداف ما يحدّد في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولأنَّ الأهداف تدبُّر تحدّد وتنجز، فلا ينبغي لها أن تكون مقفلة أمام المفاجئ النافع، أي: ينبغي أن تضبط دلالة ومعنى، ولا تكون مقفلة أمام ما يتيسّر أمامك من خوارق.

إنَّ إنجاز الأهداف عن حُسن تدبُّر وأوَّلًا بأوّل، وبسرعة لا تسرّع يصحبها، يُمكّن من خوض المنافسات والفوز فيها؛ ولهذا فكلّما أُنجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهمية؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض

بالسّماء رفعة، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء، وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا؛ حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين قمّة.

ولأجل إنجاز الأهداف وبلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل ما يجب نيله من مأمولات.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، ومأمول من بعده مأمولات، ولكن في المقابل هناك من يهدّم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يَهدِمُهُ لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيًّا، والهادمين له انحدارًا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا قابلة للإنجاز[71].

[71] عقيل حسين عقيل، تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية، القاهرة، 2019، ص 81 – 88.

حُسنُ التدبُّر يُمكّن من تحدِّي الصِّعاب:

حُسن التدبّر لا يكون إلَّا وعيًا ودراية، ولأنَّها الصِّعاب فلا إمكانيَّة لتحديها إلَّا بتدبُّر حسن؛ ومن هنا لا يعد التحدِّي عنادًا فارغًا، بل امتلاك إرادة وقوَّة عزيمة مع أملٍ لا يفارق، ومن ثمَّ لا يحدث التحدِّي إلَّا بمعرفة المتَحدَّ، وقبول تحديه من المتحدي، ما يجعل انكساره وانهزامه نتاج سلامة استقراء المتحدِّي له وتغلُّبه عليه تدبّر؛ ولهذا فالتحدّي لا يكون إلّا للمخاطر وما يخيف؛ وذلك بغاية بلوغ ما يطمئن ونيل المأمول؛ ولهذا فالكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيء، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بحسن التدبُّر والعمل؛ فَلِمَ لا يقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم والمتقدِّمين الذين ارتقوا علما وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنَّ الارتقاء لا يكون إلّا تدبُّرًا وعملًا؛ فينبغي لمن يرغب ارتقاء أن يقدِم على العمل النّافع، ولكن عن حُسن تدبُّر، وينبغي له أن يجوِّد منتجاته؛ لتكون منافسة لمنتجات الغير؛ ذلك لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إن لم تُقْدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة، ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع الندم.

فالعمل تحدٍّ يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة، فمن رغب مكانة ويأمل تبوأها فعليه بحسن التدبُّر والعمل المنتج، وعليه أيضًا أنْ يحرّض من تربطهم به علاقة على حُسن التدبُّر والعمل تحدٍّ؛ لتكون المكانة للجميع، قال تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[72].

إنَّ العمل تحدٍّ يصعد بأصحابه من تحت الصّفر إلى الصّفر تحدٍّ دون أن يتوقّف عنده أملًا، بل يتجاوزه بحسن التدبُّر والعمل حتى يصعد إلى القمر؛ ثم يتجاوز القمر لكونه لم يكن النهاية، فيغزو الفضاء اكتشافًا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنَّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام فمن أخذ بها ارتقاء، أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد.

[72] الأنعام 135.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقًا، فإنّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل، ودفعه إليه تحدٍّ.

إنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهلًا للتحدّي، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل تحدٍّ تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخش شيئا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة.

ومن هنا فما بلغه الإنسان من ارتقاء علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى.

والصِّعاب: مجموعة عوائق في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، وهي: قابلة للإزاحة بحسن تدبّر وجهدٍ يبذل، وبإزاحتها يحلُّ النَّافع والمفيد محلَّها، ولأنَّها صعاب فهي ليست السهلة أمام الكسالى، بل الممكنة أمام المتحدِّين.

فالتحدّي فعل يتم الإقدام عليه عن وعي، بهدف تجاوز ما يخيف أو ما يعيق، أو بهدف القضاء عليه بغاية بلوغ المأمول ونيله، ولا يكون إلّا عن وثوق في النفس والمقدرة، وهنا تكمن قوّة التحدّي الممكّن من تحقيق الأغراض وبلوغ الغايات ونيل المأمولات.

إنَّه قرار العقل بعد فكرة محيّرة أقنعت النَّفس؛ فأثارت إرادتها، وهيئتها إلى الاستعداد، وحفّزتها إلى التأهّب، ودفعتها إلى العمل تقبّلًا وثقةً؛ فكان الإنجاز ميسرًا بين يدي المتحدّيين.

إنَّه لا تحدٍّ بلا إقدام على العمل في دائرة الصّعاب، ولكن أيّ تحدٍّ؟ إنّه التحدّي عن وعي بما يجب أخذه والإقدام عليه، وما ينبغي تجنّبه وتفادي معيقاته؛ ممّا يستوجب التدبُّر بتحديد أهداف واضحة وقابلة للإنجاز، وتحديد أغراض واضحة قابلة للتحقّق، وتحديد غايات واضحة قابلة للبلوغ، وتحديد مأمول واضح قابل لأن ينال.

إذن: أفعال التحدّي لا بدّ وأن تمرّ بمرحلة مواجهة الصّعاب، ولا يمكن أن يتحقّق الارتقاء للإنسان ما لم يقبل بتحدّي الصّعاب عائقٍ بعد عائق؛ ولهذا المتحدّون وحدهم يعرفون أنّ نيل المأمولات الرفيعة لا يتم إلّا بعد تجاوز الصعوبات مهما عظمت.

إنَّ تحدّي الصّعاب لا يتمُّ إلّا بالقضاء على المخيف؛ ولهذا فإنَّ أوّل مواجهة لا تكون إلّا معه، وهذا لا يعني القضاء على الخوف، فالخوف لا سلبية فيه، فهو لو لم يكن محفّزا ما فكّرنا في القضاء على المخيف، فالخوف هو الحافز الرئيس للتحدّي، أي: لو لم يكن الخوف في نفوسنا ما تحدينا الصّعاب؛ أي: لا إقدام على عمل، ولا تحدٍّ إلّا من أجل ألّا يداهمنا ما يخيف.

وعليه: فإنَّ تحدّي الصّعاب يستوجب حُسن تدبُّر ووعيًا بما يجب، وثقةً في المقدرة، وصبرًا يمتد من زمن التهيؤ وإعداد العدة والاستعداد لزمن الحرث، ثمّ الزرع حتى يأتي يوم الحصاد الذي فيه ينضج المحصول ويحصد.

ولهذا فلا مستحيل في دائرة الممكن، حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا وجب العمل على تذليل الصّعاب؛ كي تتيسّر الأمور ارتقاء، فالصّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لابدّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما يحمد عقباه ينبغي لنا تحدّي الصّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة، والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام حُسن التدبُّر ومزيد من بذل الجهد ارتقاء، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدِّي الصِّعاب) أمّا الاستثناء: (الاستسلام لها).

ولأنّ الممكن ارتقاء يُمكّن من تحدّي الصّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوّة تدبّر حتى يقهرها إرادة، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه؛ ولذلك فمن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

فالتهيّؤ في دائرة الممكن لتحدي الصّعاب ارتقاء يُمكّن من أداء العمل الموجب، وكذلك هو ارتقاء لمواجهة ما يمكن أن يكون من فعل سالب، فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل؛ فهي تُرسم لمقاومة المعيقين له، ومتى ما بلغ الإنسان التهيؤ إرادة، بلغ القناعة المحفّزة والدّافعة إلى تنفيذ العمل ومواجهة ما يعيقه من صعوبات؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون إلى ارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته؛ فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيديهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعد لتحدي الصّعاب وأقدم عليها ليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة، ومن هنا؛ فكلّما توافرت الأفكار والحُجج تجاه القضية الخارجية مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عملية التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه؛ ولذا فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأَنْ يقال بإرادة وعن حُسن تدبُّر، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاءً لا استحالة فيه، ولكن إن لم يعقب التهيؤ استعدادٌ فلا إمكانية؛ إذ لا إرادة؛ ولذلك فإنّ غياب الإرادة وحُسن التدبُّر يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدّي الصّعاب؛ أي: لا تحدٍّ بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وإن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل، وبلوغ الارتقاء قمّة.

فالتأهّب لتحدّي الصّعاب يؤجج في النّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاء أن يُنفِّذ ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنّ لكلّ فعل ردّة فعل؛ إذن فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاء لابدّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم.

وحتى لا تحدث المفاجآت في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، ومن هنا، تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحا مساندا.

ولذلك فالغاية من بعد الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، فإنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاء بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون لها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل.

حُسن التدبُّر للمستقبل نُّقلة:

مع أنَّ التدبُّر لا يكون إلَّا في الزَّمن الحاضر، فإنَّ ثماره لا تجنى إلَّا في المستقبل، ولهذا فمع أنَّ صُنع المستقبل لا يكون إلَّا في الزّمن الحاضر تدبُّرًا، فإنَّ بلوغه نُقلة لا يكون إلَّا لاحقًا في الزَّمن الآتي؛ ولذا فالنُّقلة إلى المستقبل لا تحدث ولا تتحقّق إلى بحسن تدبّر وجهود عظيمة مع حيويّة جادّة في نيل المأمولات الرّفيعة، وهي التي لا تُبلغ إلَّا بتطلّع إلى بلوغ ما هو أعظم، وهو الذي يجعل الشّخصية في حالة ميل من المستوى الذّاتي إلى المستوى الموضوعي، ويجعل علاقاتها الاقتصاديّة علاقات مجتمعيّة لأجل خدمة الجميع دون تفرقة أو تحيّز، ومثل هذه الشخصيّة المتطلّعة بغاية إحداث النُّقلة عقلها العلمي لا يفارقه المنطق حُجّة بحجّة، مما يجعل الاكتشاف العلمي من مميّزاتها الموضوعيّة والإبداعيّة؛ ولهذا فهي في حالة رغبة للعمل المنتج وعن دراية وحُسن تدبُّر؛ لأجل إبراز قدراتها المتميزة عن غيرها من العاملين أو المنتجين، ولأنّها شخصيّة متطلّعة للمستقبل فإنّها تميل إلى التّعرف المباشر على التقنية؛ ولذلك لا تتأخر عن الاتصال مع الغير لأجل استعارة التقنية التي ترى فيها

معطيات التّقدم ومبررات العصرنة؛ ولذا فهي الشخصيّة المنسجمة مع ذاتها ومع ما يجب أن يحدث لها النُّقلة إلى الأفضل والأنفع والأجود، ومن ثمَّ فهي الشّخصيَّة المتدبرة لأمرها وهي القادرة على التوفيق بين ظروف المجتمع ومتغيرات الحداثة وما يحدث النُّقلة دون أن يكون على حساب الفضائل الحميدة والقيم الخيّرة وما يشبع الحاجات المتطوِّرة دون مظالم.

إذن: الشّخصية المتطلّعة بغاية إحداث النُّقلة هي التي تحسن التدبُّر وتتطلّع لِما هو أفضل على مستوى الأنا ومستوى الآخر، ولهذا بالنسبة إليها الاعتدال في قول الحق حقٌّ، والاعتراف به اعتراف بما ينبغي ويجب، وإنكاره إنكار للحقيقة، مع العلم أنَّ إنكار الحقيقة لا يُلغيها.

وعليه: إنَّ الشّخصيّة المتطلِّعة هي التي تتمسّك بحقوقها وتمارسها، وتؤدّي واجباتها، وتتحمّل مسئوليَّاتها، وتعترف بأنَّ للآخرين ما يماثل ما لها، فهذه الشخصيّة تعيش حالة التقمّص القدوة الحسنة؛ حيث تستعير شخصيّة الآخر وتسعى للذوبان فيها بما أنَّها مثال للاحتذاء تدبُّرًا؛ وذلك بوصفها القدوة التي تعتقد أنّها الأفضل، وهذا يدلّ على أنَّ الشّخصيَّة التي تحسن التدبُّر تكون في حالة تطلّع لِما ينبغي أن يحدث النُّقلة، وبالمنطق ينبغي على الإنسان أن يفكّر ويتدبَّر ويسعى لأن يكون على مستوى أفضل ارتقاءً، وعندما يسعى لِما هو أفضل بالضّرورة سيجد نفسه في ظروف تمكّنه من الاختيار بإرادة والعيش الرّغيد، وهذه الظّروف تمكّنه أيضا من الاقتران بذاته ولا ينفصل عنها، سواء في حالة التمركز التّام، أم في حالة التطلّع لِما ينبغي

أن يحقق النُّقلة للأفضل والأنفع والأجود ارتقاءً، هذه هي الشخصيّة المتطلِّعة، التي تحتكم إلى المنطق عند كلّ تصرف، وتنتقي تصرفاتها وأفعالها حسب كلّ ظرف وكلّ حالة، ولا تعمم سلوكيّاتها في المواقف المختلفة، ومن صفاتها الإخلاص في أداء الواجبات والمهام المناطة بها، إنّها الشّخصيّة التي توصف بذاتيّة تميل إلى الموضوعيّة؛ وذلك لإقبالها على ما يظهر الحقيقة، وحصرها للأهداف الممكنة التحقيق، وسعيها للإنجاز كمتوقّع منطقي، إنّها الشخصيّة التي تميل إلى المشاركة في الأحداث الموجبة بغاية بلوغ النُّقلة ونيل المأمولات المترتبة عليها.

إذن: الشّخصيّة المتطلّعة لإحداث النُّقلة المعرفيّة والعلميّة والحضاريّة عقلها التدبُّري استنتاجي، ومن ثمَّ فهي قادرة على الاستنباط المعرفي المجرَّد؛ حيث تلتجئ إلى التمييز بين المواضيع بمعطيات عقلية أكثر من التجائها إلى التفسير المادّي المباشر؛ وذلك نتيجة لتجاوزها مستويات الذاتيَّة الاجتماعيَّة، ولبلوغها مستويات ذاتيّة تميل إلى الموضوعيّة، تنتهج الأساليب العلميّة في سلوكها المعرفي وتعتمد في أحكامها على المعايير التي تمكّنها من التمييز علمًا ومعرفةً ودرايةً، إنَّها الشخصيّة الطموحة المتطلعة للأفضل والأجود، التي ترى أن التحصيل العلمي هو المؤدّي إلى الوصول إلى ما هو أجود أو أفضل؛ فتبني كل طموحاتها على هذا المبرر القيمي مع توظيفها وتسخيرها لكل ما تستطيع من إمكانات ماديّة وبشريّة مساندة.

وعليه: فإنَّ النُّقلة ارتقاء تُمكِّن من بلوغ المكانة التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان قمّة، وهي القيمة التي لا تُبلغ إلّا بمزيد من الجهد العقلي جدًّ ومثابرةً، وفي المقابل هناك من لا يُميّز بين إحداث النُّقلة، وما يجري من تغيّرات وتطوّرات متّسقة كما هو الذي يطرأ على الكائنات الحيّة، وما يطرأ عليها من تغيّر في الجينات والسّمات.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن بين متوقّع وغير متوقّع؛ فهو إذا أحسن التدبُّر مؤهّل لأن يرتقي إلى ما هو أفضل قيمة ونُقلة؛ ولأنّه كذلك فالأمل لا يفارقه؛ ولهذا فهو يبحث من أجل بلوغ القمّة التي لا تُبلغ إلّا بالمزيد العلمي والمعرفي، والعمل المنتج، وإصلاح ذات البين، وتحدي الصّعاب بكلّ ما يمكّن من قهرها.

فالكائنات التي يظنّ البعض أنَّها متطوّرة، نعتقد أنّ التطوّر يستوجب حُسن تدبُّر وإرادة تمكّن من اتخاذ قرار من وسط مجموعة بدائل، وهذه الخاصيّة غير متوافرة عند الكائنات التي لم تُخلق في أحسن تقويم؛ ولذلك فالكائنات قابلة لأن تتغيّر وفقًا لقاعدة التكيّف بأسباب الضّرورة الطبيعيّة، وحتى إن دُرِّب منها ما دُرّب أو عُلّم؛ فهو لن يتطوّر كما هو حال الإنسان وارتقائه نُقلة؛ فالإنسان خُلق متميّزًا بخصائص وصفات الارتقاء التي لم تكن من خصائص بقية الكائنات وصفاتها؛ ولذلك فالإنسان في دائرة الممكن ارتقاء يتذكّر ما يؤلم وما يفرح، ويؤهّل حاله عن تدبّر بما يمكّنه من العمل

المنتج الذي يمكّنه من بلوغ النُّقلة ونيل المأمول ارتقاءً، وفي الوقت ذاته يفكّر في كيفيّة تمكّنه من بلوغ ما يجب أن يكون أفضل وأجود وأكثر ارتقاء.

ومع أنَّ الإنسان ارتقاء خُلق في أحسن تقويم، فإنّه بعلّة المعصية والشّهوة والرّغبة قد انحدر هبوطًا منذ خلقه الأوّل، ومع ذلك منذ تلك اللحظة التي قُبلت فيها توبته، ظلّ آدم ومن بعده بنوه على الأمل في حاضرهم، ومع إنّه الأمل في الزّمن الحاضر، فإنّه يتعلّق ارتقاء بما هو ماضٍ (تلك الجنّة التي خُلق فيها آدم)، وهو ما لم يتحقّق بعد.

ولذلك فالتطوّر يمكن أن يكون خاضعًا للمشاهدة مثل الإعمار وبناء الحضارات، وهذه من خاصيّة الإنسان التي لا يشاركه فيها غيره، ومن هنا يُصبح الارتقاء نُقلة في دائرة الممكن يستوجب حُسن تدبُّر وبحثًا علميًّا مضنيًا، وجهدًا ينجز وفقًا للأهداف المحدّدة والآمال المرجوة، والأغراض التي من ورائها، والغايات التي لا تبلغ إلَّا قمّة ورفعة. وفي المقابل يمكن أن يكون التطوّر خاضعًا للملاحظة، مثل السّلوك وما يطرأ عليه من تغييرات مقصودة، وهذه تشترك فيها كلّ المخلوقات بما فيها من خُلق في أحسن تقويم.

فالإنسان في دائرة الممكن، ارتقاؤه القيمي عن حُسن تدبُّر يُرسّخه قيمة في ذاته، قيمة تستوجب مزيدًا من الاحترام والتقدير والاعتبار؛ وذلك بما يفسح له مجال العدل الممكّن من العلم، والعمل، والتملّك، والتمدّد إلى النّهاية دون أن يكون له تمدّدٌ على حساب الغير.

وهنا فالممكن ارتقاءً هو المتاح تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا، وهو ما يمكن بلوغه قدرة واستطاعة، وهو ما لم يكن مستحيلًا حتى وإن كان صعب التحقّق، وهو الذي ليس له وجودًا لو لم يسبقه وجود خَلق ونشوء، ومع ذلك وجوده لا يعدّ إن لم يلاحق الخَلق والنشوء ارتقاء.

ولأنَّه الممكِن ارتقاء فهو بين متوقّع وغير متوقّع؛ فالمتوقّع منه هو الذي بحدوثه لا تحدث المفاجأة، ولا الاستغراب، ولا توضع علامات التعجّب، أمّا غير المتوقّع فهو الذي لا تتوافر معطيات حدوثه بين أيدي النَّاس، ومع ذلك يقع، ممّا يجعله في حالة تساوٍ نسبي مع المتوقّع في دائرة الممكن؛ ولهذا إذا ما حدث غير المتوقّع حدثت المفاجأة أو التعجّب والاستغراب.

فغير المتوقّع يقع أو يحدث دون قراءات أو حسابات سابقة، أو نتيجة قصور في التدبُّر أو في القراءات والحسابات السَّابقة على وقوعه، ممّا يجعله يقع (هو كما هو) إثباتًا، ومن هنا ينبغي أن يتمَّ التعرُّف على غير المتوقّع وعلى علله ومسبّباته لاحقًا؛ ليتمَّ التعرُّف على نقاط الغفلة، أو القصور التي لم تؤخذ في الحسبان المتوقّع، وهكذا بالتقييم والتقويم تصلح الأحوال وتحدث النهضة الممكّنة من بلغ النُّقلة المأمولة.

فالمتوقّع وغير المتوقّع متغيران رئيسان في دائرة الممكن، التي فيها تتساوى فرص ظهور كلّ منهما بنسبة ثابتة قدرها (50%)، والمتوقّع يمكن أن يكون سالبًا، ويمكن أن يكون موجبًا؛ فالموجب منه لا يكون إلّا وفقًا لما هو مأمول نُقلة، والذين لا يأخذون حذرهم يرسمون خططهم وسياساتهم وفقًا لِما هو

موجب متوقّع، وكأنَّ الحياة لا تُحفُّ بالمخاطر، وكأنَّ العلائق بين النَّاس لا تُبنى إلّا على الصّدق فقط؛ ولذلك فهم دائمًا يفاجئون؛ كونهم لم يحدّدوا لغير المتوقّع موضعًا، ومن ثمَّ فلا نُقلة.

وعليه:

ينبغي من أجل بلوغ النُّقلة أن يحسن الإنسان التدبُّر الذي يدعوه إلى تحديد الأهداف ورسم الخطط والسّياسات والإستراتيجيَّات وفقًا لدائرة الممكن التي تحتوي ما هو متوقّع موجبًا وما هو متوقّع سالبًا، وما هو غير متوقّع موجبًا، وما وهو غير متوقّع سالبًا.

وبما أنَّ الممكن ليس مستحيلًا فعلى الإنسان أنْ:

. يحذف من قاموسه العقلي كل ما يؤدّي به إلى اليأس والقنوط.

. يفكّر فيما يفكّر فيه قبل أن يقرّر ويعمل.

. أنْ يخطّط لما هو غير متوقّع مثلما يخطط للمتوقّع.

. أنْ يعمل ارتقاء بلا تردّد ولا يأس؛ حتى يُرتَقَ الممكن بالمستحيل قمّة.

. أنْ يقبل تحدّي الصّعاب؛ فالصّعاب تُقهر، ولا مستحيل في دائرة الممكن، ولا استغراب، بل الاستغراب ألّا يتمّ تحدّى الصّعاب التي تحول بين الإنسان وبين ارتقائه نُقلة وقمّة.

ومن ثمَّ فمن يحسن التدبُّر ويرسم الخطط والإستراتيجيّات ويعدّ البرامج وفقًا لِما هو متوقّع، عليه أن يعرف أنَّ ما يفكّر فيه معرّض لمواجهة غير المتوقّع، ممّا يلفت انتباهه تدبُّرًا إلى التفكير في غير المتوقّع بخطط بديلة تواجه ما يمكن مواجهته من مواقف أو أضرار أو مخاطر قد تحدث؛ ولذلك فالزّمن الحاضر هو زمن التخطيط والتدبّر والتذكّر والتفكّر، وهذا يعني: أنَّ دائرة الممكن هي التي فيها ينصهر الزّمن حاضرًا، أي: إنَّ التذكّر الذي يرتبط بما هو ماضٍ، لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وكذلك التفكّر الذي يتعلّق أمره بما لم يتحقّق بعد لا يكون إلّا في الوقت الحاضر، وفي الوقت ذاته يتدبّر الإنسان أمره وكأنّه لا يعيش الزّمن إلّا حاضرًا، أي: إنَّ الذي يتذكّر في دائرة الممكن لا يجب أن ينظر لما يتمّ تذكّره من الماضي وكأنّه لن يتكرّر، بل ينبغي أن يراه وكأنَّه الآن يواجهه تحدٍّ، ممّا يجعله في وقته الحاضر متحدّيًا له بحلولٍ حاسمة تمكّن من بلوغ النُّقلة، وهكذا ينبغي أن يفكّر فيما يمكن أن يواجهه مغالبة، حتى لا يحدث وتحدث المفاجآت المؤلمة التي تؤدّي إلى الانتكاسة أو الانحدار، بدلًا من أن تؤدّي إلى بلوغ القمّة ارتقاء نُقلة.

ولذا فالممكن احتمالًا يسبق ما يمكن أن يكون محتملًا أو غير محتملٍ؛ ولهذا فلا يتحقّق الممكن إلّا في دائرة الحاضر، حتى وإن أصبح ذلك المتحقّق في دائرة الزّمان مسجّلا؛ فالممكن المتوقّع وغير المتوقّع في زمنه الحاضر يسبق حدوث الفعل، ومن ثمّ يظل الممكن تحت الانتظار إلى أن يتحقّق أو لا يتحقّق، ومن هنا، يصبح للممكن مصادق تثبت حدوثه أو تبطل حدوثه.

فالممكن في زمنه الحاضر يُلاحق العبر والمواعظ، ويتزامن مع التدبّر، ويسبق المأمول حتى يتمّ بلوغه ارتقاء نُقلة؛ ففي الزّمن الحاضر لا انتظار لشيء يعود إلّا استدعاء ذاكرة، ولا انتظار لشيء يأتي وهو لم يكن شيئًا، ولا شيء يحدث إلّا في الزّمن الحاضر.

وبما أنَّ في دائرة الممكن لا وجود للمستحيل، إذن: فمن الممكن التفكير في المستحيل حتى معرفته مستحيلًا، وعندها يدرك الإنسان أنَّه في حاجة لمزيد من التدبُّر الممكن من الارتقاء، ومع أنَّ الإنسان يتوقّع ما هو ممكنٌ، فإنَّه قد لا يستطيع تحقيقه بأسباب قصور قدرته ومحدوديّة إمكاناته، وعلى الرّغم من ذلك؛ فعليه أن يعمل مع من يمكّنه من الارتقاء تحدٍّ؛ فالصّعاب لا تصمد أمام التحدّي بغاية إحداث التغيير نُقلة.

ولهذا فالإنسان يتذكّر ويتدبّر ويفكّر في كلّ ما من شأنه أن يُظهر له ممكنًا، ويمكّنه من إنجازه، أو تحقيقه بغرض الارتقاء إلى ما هو غاية مأمولة البلوغ.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكنٌ؛ فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وأن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة؛ فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود؛ فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء؛ ولذلك فالاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

وعليه فصُنع المستقبل نُقلة يستوجب الآتي:

. الاستعداد وإعداد العدّة، وعن حسن تدبُّر.

. التهيؤ للإحجام عمَّا يجب الاحجام عنه، وعن حُسن تدبُّر.

. التأهُّب إلى الإقدام على ما يجب الاقدام عليه، وعن حُسن تدبُّر.

. دفع أفراد المجتمع إلى العمل المنتج الذي يُمكِّنهم من الوفرة التي تُسهِم في إشباع حاجاتهم الضّروريّة؛ ليعيشوا حياة تعليميّة وصحيّة واقتصاديّة مزدهرة ومرضيّة.

. دفع الأفراد إلى ميادين العمل المنتج التي فيها يتمكّنون من إشباع حاجاتهم للمشرب والمآكل والملبس والتنقّل، وإلَّا سيظلون في عازة ممّا يجعلهم بعيدين عن محققات الرّفاهية الاجتماعيَّة وصُنع النُّقلة ارتقاء.

. تفطين أفراد المجتمع إلى ما يؤدّي إلى إشباع الحاجات الضّروريّة، وإلى ما يؤدّي من بعدها إلى إشباع الحاجات الكمالية المتطوِّرة.

. دفع أفراد المجتمع إلى زيادة الإنتاج حيث الحاجات المتطوّرة التي تبحث عن مشبعات غير ثابتة، فما كان لا يعدّ حاجة ضرورية في الزّمن الماضي أصبح من الأولويات في هذا العصر، وهكذا هي الحاجات تتطوّر عبر العصور وستظل دائمًا على هذه الحالة ارتقاء.

. تفطين مؤسّسات المجتمع الخدميَّة والإنتاجيّة وهيئاته وشركاته لاستيعاب أفكار العاملين والمتعلمين والاستجابة لمطالبهم المتطوّرة ورغباتهم المتنوّعة مع حركة التغير والتطوّر الاجتماعي.

. تنظيم العلاقة بين رغبات العملاء وظروفهم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة، التي قد لا تمكِّنهم من بلوغ مشبعات رغباتهم ما لم يستثمروا كلّ ما لديهم من طاقات مع مضاعفة الجهد المبذول تجاه محقّقاتها.

. تفطين الأفراد من انغلاقهم داخل دائرة الذّات الاجتماعيَّة إلى الانفتاح على الآخرين أصحاب العلم المتقدّم، والتعرّف على ما يمتلكونه من منافع وعلوم وتقنية، وتعلّمها والأخذ بأسبابها.

. تنمية روح الطموح والتّجدد لدي أفراد المجتمع؛ حتى يتطلّعوا إلى صناعة المستقبل الذي يمدّهم بأسباب إحداث النُّقلة وبناء الذّات حتى تتمكّن من دخول ميادين المنافسة والإنتاج العلمي والبناء الحضاري.

. ترشيد الأفراد بما يؤدّي بهم إلى تنظيم حياتهم وتقدير ظروفهم في ضوء الظّروف المحيطة والمتطوِّرة؛ ليكوِّنوا علاقات موجبة معها، حتى يتمكّنوا من مواكبة حركة التطوّر والتغير الاجتماعي والإنساني في القرية الصّغيرة.

. استيعاب المتغيّرات الجديدة التي جعلت من العالم قرية صغيرة والترابط مع شبكاتها المعلوماتيَّة؛ لأخذ المزيد المعرفي من أجل تحقيق حياة إنسانية شاملة بغاية تحقيق النُّقلة للجميع.

. تفطين أفراد المجتمع إلى أخذ ما هو نافع وترك ما هو غير نافع؛ فالقرية الصّغيرة مملوءة بالجديد النّافع والجديد غير النّافع؛ فيجب التمييز قبل الإقدام، ومن هنا يجب الاهتمام والانتباه.

. عدم الإغفال عن حقيقة مفادها: (أنّ الحياة بطبيعتها في حالة تطوّر) فلا داعي للغفلة وضياع الوقت.

. تفطين الأفراد إلى استثمار ما لديهم من إمكانات وطاقات والتطلّع إلى ما يفيد من قِبل الآخرين؛ حتى يتمكّنوا من العيش برفاهية اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة وأخلاقيَّة وإنسانيَّة.

. حث أفراد المجتمع على التطلّع بغاية أخذ المفيد النافع للفرد والأسرة والمجتمع كلّه مع الإسراع بهم إلى أخذ المزيد وتطويره حتى بلوغ النُّقلة من بعد النُّقلة تطوّرًا.

. دفع الأفراد لمواكبة حاجاتهم المتطوِّرة، وعدم التأخر عن ممارسة ما من شأنه أن يُعجِّل من طي المسافات بين النقطة التي هم عليها، ومحققات الرّفاه الاجتماعي.

. التأكيد على أهمية بلوغ الجديد المفيد الذي يُعزز ثقة الأفراد بأنفسهم وبذواتهم الاجتماعيَّة، ويحقّق لهم أبعادًا إنسانيّة في المجالات العلميَّة والاقتصاديّة والسياسيَّة والنفسيَّة والذّوقيَّة والثقافيَّة.

. تحريض مؤسّسات المجتمع على اختيار المعروض الأجود ممّا وصل إليه التقدّم العلمي والتقني، والإقدام على تطويره، فالقوّة المبدعة في العالم لن تنتظر وستواصل التقدّم والتطوّر، فعلى مؤسّسات المجتمع وهيئاته وشركاته دخول ميادين السّباق العلمي وإلّا سيظل المجتمع قعيدًا في مؤسّسات الرعاية الاجتماعيَّة؛ ذلك لأنَّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانيّة، ولأنَّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانيَّة، تأسّست هيئات وجمعيَّات ومؤسّسات دوليّة إنسانيّة لتقديم المساعدة لمن هم في حاجة إليها، سواء دول بحالها أم جماعات منها.

ولذا تأتي المخاطر أو تظهر الإشكاليّات من سوء التدبُّر أو انعدامه، وكذلك تظهر من فقدان مشبعات الحاجة المتطوّرة؛ إذ لا يتحقّق الأمن والاستقرار والرّضا الاجتماعي إلا بالإشباع؛ فالجوع والخوف والإكراه والانحرافات ذات علائق، وفي المقابل الإشباع والأمن والرّضا هي الأخرى ذات علائق، ومن هنا يجد التعسير مكانًا له، ويجد التيسير مكانة لمن شاء أن يُحدث في نفسه نُقلة تحقّق له نُقلة أعظم.

ولذا لا يستقرّ البلد (أيّ بلد) إلَّا باستقرار أمنه، وارتقاء اقتصاده، وشفافيّة نظامه، وقوّة إرادة شعبه، وهيبة مشبعات حاجاته؛ ولذلك فإشباع الحاجات ضرورة فطريَّة وغريزيَّة وأخلاقيّة وإنسانيّة فلا ينبغي غض النّظر عنها بأيّ علّة من العلل أو أيّ مبرر من المبررات الواهية.

إذن: من باب الضرورة والوجوب والأخلاق نقلة لا مفرَّ من إشباع الحاجات البشريَّة المتطوِّرة عبر الزّمن، ومن يُهمل أو يغفل عن ذلك يجد نفسه في حالة مواجهة مع الذين فقدوا مشبعات حاجاتهم.

وعليه فالقاعدة هي:

. تطوّر الحاجات.

. تطوّر المطالبة بها.

. تطوّر مشبعاتها.

. تطوّر أساليب إشباعها.

حُسن التدبُّر يصنع الأمل:

حُسن التدبُّر لا يكون إلَّا عن دراية عقليَّة وفكريَّة بما يجب، والعمل عن وعي وفقًا لما يجب؛ ولذا فصُنع الأمل ليس بصنع المستقبل؛ ذلك لأنَّ صُنع الأمل يتعلّق بتفطين العقل، حتى يلتفت إلى ما هو عليه وما يجب أن يقوم به نُقلة، أمَّا صنع المستقبل فلا يكون إلَّا برسم الخطط عن وعي ودراية وحُسن تدبُّر، ومع ذلك لن يُصنع المستقبل نُقلة ما لم يسبقه الأمل صُنعًا.

ومع أنَّ الأمل على علاقة مباشرة بين الآمل وما يأمله فإنَّ صُنعه لا يكون إلَّا بالعمل دراية ومعرفة؛ ولذا فالأمل كونه استشعار الحيويَّة والمقدرة فهو قابل لأن يتمدّد قوّة تجاه المأمول رغبة وإرادة، ومع ذلك فالأمل لم يكن في العقل قالبًا جاهزًا، بل مولود تلك الحيرة التي تجول في العقل وتستفزّه

تفكيرًا وبحثًا عمّا يجب حتى يَرشُدَ معرفة تقتنص مأمولًا، يستوجب جهدًا يبذل لنيله، والذي بنيله تحدثُ النُّقلة.

ومن ثمّ فالأمل لا يُصنع إلّا والحيرة تسبقه تفكيرًا وبحثًا وتدبّرًا، حتى تنجلي غيوم الذّهن والنفس فتنتج فكرة تخلّص من الحيرة، وترشد لما يفكّ التأزمات ويخلّص من القلق، ويمكّن من العمل المنقذ ممّا يخيف ويؤلم.

ولأنَّ الفكرة أملٌ مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه، ولّدت منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النّاس، وهي لا تكون كذلك إلّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزّات الخَلقيّة والخُلقيّة أثارت العقل انتباهًا لما يجب؛ فتدفعه حيويّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين المحيّر والمأمول.

ومع أنَّ الفكرة مع حُسن التدبُّر تخلّص من الحيرة، فإنّه لا نُقلة إلّا من بعدها؛ فالحيرة بالنّسبة للفكرة تعد مخاض ولادة، وولادة الفكرة بدون حيرة تسبقها هي: ولادة قسريّة، فلا يمكن أن يتطابق الزّمن الافتراضي لولادتها مع زمن قسريتها، فتلد مشوّهة، ومن ثمَّ ستكون الحلول أو المعالجات أو الإصلاحات المترتّبة عليها منقوصة، أو منحرفة تجاه المخالف للمأمول ارتقاء ونُقلة.

ومع أنَّ هذا الأمر يعد سالبًا بالنّسبة إلى الفكرة ارتقاءً، فإنَّه الأمر المحيّر والمستفزّ لعقول الآخرين إيجابًا، ممّا يحفّزهم ويدفعهم إلى الالتفات تجاه المحيّر، حتى تلد الحيرة فكرة، تخرج من التأزّم.

ومع أنَّ زمن الحيرة الفكريَّة مُقلق لمن ألمت به وألمّ بها، فإنَّه المخاض الذي ينذر بولادة ما يسرّ العقل والنّفس، وما يسرّ الغير ارتقاء؛ ولذلك فالبحوث العلميّة ارتقاء تسبقها الحيرة المؤدّية إلى ولادة الجديد المحفّزّ على حيرة جديدة من بعدها محيرات تُمكّن من إضافة ما هو أفيد وأنفع بغاية نُقلة مأمولة.

إذن: فلا داعي للقلق من الحيرة؛ فقلق الحيرة يُمكّن من الإلمام بالمحيِّر حتى يُقتنص له حلّ بعد حُسن تدبُّر، ومن لا حيرة تستفزّه؛ فعليه أن يفكّر في الشيء استحالةً أو إعجازًا أو ممكننًا، حتى يقتنص حيرة بها يقتنص فكرة تلد له أملًا وحلًّا.

وهذا لا يعني: أن تكون الحيرة غاية في ذاتها، بل الغاية من ورائها مأمول يحدث النُّقلة، ولكن هذا الأمر يتطلّب مقدرة على تحدّي المقلق بما يُقلقه، حتى يصبح القلق بولادة الفكرة في خبر كان؛ فأهل العلم والبحث العلمي لا يمكن أن يصلوا إلى غاية الارتقاء إلّا بعد الحيرة، ومن لا يقبل الجلوس مع الحيرة تحدٍّ؛ فلا إمكانيَّة لأن يُكتب له التحدّي في ميادين العلم والمعرفة المصنّفة، ولا يمكن له أن يبلغ النُّقلة رفعة.

فالحيرة العلميَّة لا تواجه إلا الجادّين، ولهذا ينبغي أن نعرف أنَّ الحيرة درجة متقدّمة من التفكير العلمي الذي ينبغي على الباحث تقبُّله وعدم الحياد عنه إلى أن يصل بتفكيره المنظّم إلى الانتباه الذي يقوده إلى الاختيار واتخاذ القرار عن وعي وإرادة ويقين حيث لا خروج من الحيرة العلمية إلا

بتحديد موضوع البحث الذي تمحور على إشكاليّة لا مفرّ من البحث فيها إن أردنا بلوغ المأمول ونيله نُقلة.

وكما أنَّ الحيرة يقظة عقليَّة تستوجب مواجهة القلق بما يُقلقه؛ فكذلك الصّعب يعد معطية مثيرة للعقل ومستفّزة لملكاته التي تتحفّز إلى المواجهة معه متى ما اعترض طريقها، ومن هنا، بدأت مواجهة العقل للصّعب تحدٍّ من ورائه تحدٍّ، وفي المقابل الصّعب يقدِّم التنازل من بعد التنازل.

فالصّعب ليس بالمستحيل ولا المعجز، حتى يستحال تحدّيه، بل ميادين تحدي الصّعب فسيحة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع وبخاصّة من الآملين، فهم لا يخافون مواجهة الصّعب، بل الخوف بالنسبة إليهم ألا تحدث المواجهة معه؛ فالمواجهة العقليَّة معه كلّما حدثت عن تدبّر فكرة، أنتج العقل فكرة أكثر ارتقاء؛ ولذا ستظل الفكرة عقليَّة إلى حين استخراجها فيما يمكن أن يكون على الشّكل أو الصّورة، أو المفهوم والدّلالة والمعنى، والتجسّد سلوكًا.

ومع أنَّ العقل مكمن الفكرة، فإنَّه أيضًا منبع الأمل، ورأس التدبُّر، ومع أنَّ الفكرة والأمل والتدبُّر من إعمال العقل وفي محفظته، إلَّا أنَّ الأمل يتعلّق بالغايات الخارجيَّة، التي في دائرة الممكن لا تُبلغ إلّا تخييرًا وإرادةً، ومن ثمَّ فمن يمتلك الإرادة يستطيع الاختيار الممكّن من التدبّر وحمْل المسؤوليَّة، ومن لا يمتلكها، فإشارة قف لا تسمح له بالعبور إلى ضفاف الارتقاء؛ ولذلك وراء كلّ غاية مأمول ونُقلة.

ولأنَّه الأمل صنعًا؛ فهو لم يكن معجزًا ولا مستحيلًا، ولأنَّه لم يكن كذلك، فَلِمَ لا يُصنع! أي: لا استغراب من صنع الأمل، بل الاستغراب ألا يتم الإقدام على صُنعه، وصنع الأمل نُقلة يستوجب:

. امتلاك الإرادة.

. حُسن التدبُّر.

. قبول التحدّي.

. مقدرة فاعلة.

. رسم الخطط.

. إعداد العدّة.

. عدم نفاذ الصبر.

. توفّر الإمكانات.

. التصميم مع وافر العزيمة.

. إدارة الوقت.

. امتلاك الرُّؤية.

إذن: الأمل لا يُمنح من أحدٍ، فلا داعٍ للانتظار، أو حتى للالتفات، فمن أراد أملًا فعليه بعقله دون الاتكاء على عقول الغير؛ فالغير يمكن أن

يعطوك رأيًا أو يقدّموا لك رؤية، ولكنّهم لن يعطوك أملا حتى وإن أرشدوك إلى مستقبل يرونه أفضل؛ فلا تعتمد على أصابع الغير في حكّ جلدك.

إذن: الأمل تستفزّه الحاجة المدخلة للحيرة التي فيها يجد العقل نشاطه الفكري كلّما وجد الصبر في النفس مكانة، ولكن أن رفضته النفس قلقًا، فلا إمكانيَّة لصناعة الأمل، وفي المقابل كلّما وثقت النفس في حيرة العقل فكرًا، وجد الأمل مكانًا يتربّع عليه؛ ولذلك تعد القلوب الصافية والنفوس الصافية أماكن ولادة الأمل تيسيرًا، أمّا أولئك الذين ضاقت نفوسهم حقدًا ومكرًا وكيدًا وحسدًا؛ فلا إمكانيّة لديهم تصنع أملًا وتحدث النُّقلة.

ولذا فالأمل لا تصنعه الصدف، بل القصد وحده قادر على صنعه، فَلِمَ لا نتوجّه لصنع الأمل بما أنّ غيرنا قد صنعوا آمالا؟

ولهذا فصناعة الأمل نُقلة تتطلّب:

. قبول التحدّي.

. مواجهة الصَّعاب بلا تردد.

. وضوح المأمول.

. مثابرة جادَّة.

. مكاشفة النفس.

. بذل الجهد.

. قبول دفع الثّمن.

. الاستعانة بأهل الحكمة والدِّراية.

. أخذ العبر من التَّاريخ.

. التدبُّر وفقًا لما يجب قبل الإقدام على ما يجب.

وعليه:

. أحسن التدبُّر.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى يصبح أملًا يشبع رغبة مرضية، ولا تكون على حساب الغير.

. جمّع قواك العقليّة والفكريّة وخطّط بما يمكّنك من تفادي الصّعاب وأنت تعمل من أجل بلوغ المأمول وإحداث النُّقلة.

. حشّد الإمكانات وعدّ العدّة المناسبة لبلوغ المأمول.

. انزع التردّد من نفسك وتقدّم قوّة تصنع المستقبل المأمول قمّة.

. استعن بمن يمدّك قوّة تُسهم في اختصار الزّمن وتقليل الخسائر، وتسرع بحركة الإنجاز.

. اعرف أنّك كلّما أنجزت هدفًا، وجب عليك تحديد أهداف أخرى أكثر أهميّة حتى تحدث النُّقلة إلى الأفضل المرتقب.

وبما أنَّ كلّ شيء ممكن، فلِمَ لا نفكّر فيه بلا قيود؟ حتى وأن وضعت عليه القيود علّة بأيّة علّة فيجب أن تفكّ العلل مع القيود، ولكن إن لم تفكّ العلل والقيود، فعلامات الاستفهام والاستغراب وأفعال المواجهة ستكون ارتقاء في الميادين والشّمس في كبد السّماء؛ ولذلك فالاستغراب يَحدث عندما يَحدث غير المتوقّع في الزّمن الذي ينتظر فيه ظهور المتوقّع، وهنا تكمن المفاجأة، التي لا تظهر إلّا بغفلة عمّا هو غير متوقّع.

ومع أنَّ النَّاس يأملون المستقبل الأجود والأفيد، فإنَّ القليل منهم هم الذين يحملون أعباء بلوغه، أي: إنَّ البعض يعمل على صُنعه والبعض ينتظره زمنًا، فالذي يعمل على صُنعه يأتي إليه، أمَّا أولئك المنتظرون سيظل الزّمن أمامهم مستقبلًا وهم يتمنّون؛ ولهذا فالفرق كبير بين من يأمل ويعمل على بلوغ مأموله، ومن يتمنى فيبقى في أمانيه ساكنًا.

وعليه: فالنَّاس كلّ النَّاس هم بين مأمولٍ ومتمنٍ، ولهذا فهم مختلفون وسيظلون كذلك فالذين يأملون يعملون ويسعون إلى معرفة وإنجاز المزيد، والذين يتمنون سيظلون يتمنون.

صُنع المستقبل المأمول نُقلة يؤسّس لوطن فيه المواطنون يسودون دون سيادة مظالم، الرّجل والمرأة والصّغير والكبير هم رأس مال الوطن، ممّا يجعل ثروة الوطن ملك للجميع، والتعليم حقّ للجميع، والصّحة حقّ للجميع، والخدمات المتميّزة حقّ للجميع، والأمن حقّ للجميع، وأداء الواجبات حقّ على الجميع، وحمل المسؤوليّة عبء يحمله الجميع، وكلّ وفق قدراته

واستعداداته ومهاراته وتخصّصه وتأهيله وصلاحيّاته واختصاصاته، مع تقديم أفضل رعاية للمعاقين والعجزة والمرضى وإعالة ورعاية من لا عائل لهم ولا راعٍ.

فالآمل لا يرى الحكومة والمجتمع المدني إلّا في حالة شراكة؛ فكلّ واحد ييسّر للآخر أعماله وكلّ واحد يقوم بمهمّة المراقبة على الآخر، ممّا يجعل ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي ماثلة بين يدي النّاس يمارسونها بكلّ شفافيَّة، مع وافر الرّقابة المتبادلة بين مكوّنات المجتمع المدني والحكومة التي يتمّ اختيارها خبرة ودراية ومهنة وتخصّصًا ومكانةً اجتماعيّة وإنسانيّة رائدة، وكلّ ذلك لا يتمّ إلّا تحت مظلّة الدّستور وما يتفرّع منه من قوانين ونظم مشرّعة، ولهذا لا داعي أن تضع الحكومة نفسها في كلّ مكان، فإن ارتأت ذلك، فلن تجد لها مكانًا، وإن فرضت نفسها بغير إرادة أهل الأرض سترهق أجهزتها الأمنيّة وإن كثرت.

ومن ثمّ عندما يصبح أهل الأرض (الشّعب) شركاء في إدارة الدّولة دستورًا سينتهي ذلك الدّور الأمني (الشّك في الموطنين) ويحلّ محلّه دور جديد (لا ثقة إلّا في الشّعب)، ومن ثمَّ فلن يكون دورها مطاردة المنحرفين لمعاقبتهم، بل دورها جمعهم من أجل الإصلاح، ثمّ غرس الأمل في نفوسهم من أجل مستقبلٍ أفضل فيه نُقلة إلى ما هو أعظم، وهكذا سيكون دور رجال البوليس احترام المواطنين وتقدير ظروفهم وتفهُّم أحوالهم، أي: العمل بشكل وثيق مع المواطنين لتحسين مستويات الجماعة المحليّة والسّلوك المدني

واستخدام الثّقافة والاقتناع والتشاور بدلًا من توجيه الاتّهامات بغير حقّ؛ ولذلك تسنّ القوانين التي ترشد إلى ما يجب، وتنهى وتحذِّر وتحرّم ما لا يجب، ثم تعاقب دون مظالم، ومن هنا تصبح تقويّة القانون ضرورة من أجل ممارسة الحرّيَّة وبكلّ شفافيَّة، فعندما يصبح المواطن صاحب سيادة في وطنه فلا إمكانيَّة لوجود متطرّفين ومرهبين بين الشعب؛ ذلك لأنّ عيون الشعب كلّها رقابة.

ولأجل التغيير من حالة التّعاسة إلى حالة الرّفاهيَّة ينبغي ألّا يكون التركيز على تقديم المساعدات؛ فالاستمرار في تقديمها يجعل الاتكال والاستمرار في طلبها مستمرًّا، ولهذا وجب غرس الآمال في عقول النّاس ودفعهم إلى العمل وتحفيزهم عليه[73].

[73] عقيل حسين عقيل، النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 1021م، ص 14 – 47.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (186) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيميَّة لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلمية دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيميَّة في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيميَّة في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيميَّة لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيميَّة في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31. إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33. يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

34. داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 . عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

39. محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 . تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 ـ الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 ـ مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 ـ المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 ـ الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 ـ مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 ـ الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 ـ تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 ـ العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 ـ غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 –كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيمية) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 – مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التَّاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلمية لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 ـ أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 - موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الدور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (مجالاتها عمليَّاتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشَّخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشَّخصيَّة الليبيَّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشَّخصيَّة المتهيّأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

183 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (دراسة الحالة من النشوز إلى قطع اليد)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

184 – الشَّخصيَّة المتأهِّبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

185 – الانحراف من النّشوز إلى الضَّرب، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

186 – التدبُّر، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينًا عامًّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (186) مؤلّفا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/